

الرحلات بين المغرب والمشرق العربيين "رحلة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"

لمؤلفها الحسين بن محمد الورثياني
(١١٢٥هـ/١١٩٣هـ) أتموجاً

د/ محمد صالح بن حامد سيد أحمد*

ملخص

لم تختلف دوافع الرحالة المغاربة منذ بداية الرحلات المغاربية إلى الشرق بقصد طلب العلم والأخذ من الينابيع الأولى والعلماء المشهورين، والحج والعودة لنشر الدين وتعليمه في البلاد الأفريقية، فإننا نلاحظ أن أغلب الرحالة المشهورين كانوا علماء وفقهاء تمكنوا من التدريس في الحرمين الشريفين بعد أن تمكنوا من المجاورة لبعض الوقت أو لفترة طويلة ناهيك عن اهتمامهم بنقل المصادر والاستفادة منها بالاطلاع عليها ونسخها أو عن طريق الشراء حينما كان سلاطين الدولة العلوية ومن قبلهم سلاطين الدولة السعدية يرسلون الرسل لشراء الكتب من مصر مثلاً فعل السلطان أحمد المنصور السعدى الذى أجرى اتصالات مع مختلف جهات العالم فى سبيل إغناء مكتبته فاتصل بعلماء مصر والدولة العثمانية بتركيا، وبالعلماء بالحرمين الشريفين، وكذلك الحال بالنسبة لسلاطين الدولة العلوية الذين اهتموا بجمع الكتب والمصادر من بلاد المشرق سواء من مصر أو الحجاز. كذلك نلاحظ أن من دوافع الرحالة المغاربة؛ تسجيل المعارف الضرورية للحاج من أوصاف المسالك وتعداد المراحل وأسماء البلدان وذكر آبار المياه فى الطريق إلى الحج. وعلى ما يبدو أن مهمة ضبط هذه المسالك وأسماء المدن والأماكن ومصادر المياه كانت تبعة يحملها جيل بعد جيل من الرحالة ويدلنا على ذلك ما ذكره العياشى بعد أن اطلع على رحلة ابن رشيد السبتي بعد عصر ابن رشيد بحوالى أربعة قرون. لذا فإننى سأعرض لأدب الرحلة عند المغاربة ثم للمشهور من الرحالة والرحلات وبعدها تأتى دراسة مستفيضة عن رحلة الحسين بن محمد الورثياني- الجزائرى- "نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار" الذى حققها محمد بن أبى شنب وطبعها فى الجزائر فى مطبعة بير فونتانا الشرقية سنة ١٩٠٨م كما ستتعرض الدراسة لأسلوب المؤلف ومصادره ومنهجه.

* أستاذ مساعد بكلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز - جدة.

**Journeys from the East to the West of
the Arab World: The Rehlah (Journey) by
Al-Warthilani as an example**

Abstract

This paper investigates Maghribi (Northwest African) rehlat (journeys) to the eastern end of the Arab World and shows that these travels were undertaken for such purposes as the performance of hajj (pilgrimage to Makkah), the pursuit of theological knowledge, and the dissemination of faith upon return home. The journeys were also meant to describe caravan routes to Hijaz. Moreover, the pilgrims described whatever they saw in Hijaz, particularly important Islamic and historical places such as mosques and mountains with an Islamic significance. The kind of literature associated with the journeys also records preparations that were made as well as the travellers' feelings and *khawatir* (thoughts) and descriptions of social life. Of the Maghribi rehlat known to have taken place, the present study concentrates on the journey by al-Warthilani, *Nuzhat al-anzar fi fadl 'ilm al-tarikh was al-akhbar*.

اهتمام العلماء المغاربة بتدوين خواطرهم إبان رحلاتهم إلى الحجاز: مقدمة:

اهتم العلماء المغاربة اهتماماً كبيراً بتدوين خواطرهم إبان رحلاتهم إلى الحجاز للحج والزيارة لمحبتهم لهذه الأماكن المقدسة؛ لما تحتله من مكانة دينية سامية في قلوب المسلمين وفيها يتم الركن الخامس وهو فريضة الحج. وهو الدافع الحقيقي والأقوى لارتباط هذه الفريضة بالمعنى العميق للدين الإسلامي الذي كان وما يزال هو الرابطة القوية التي تربط بين أطراف العالم الإسلامي في فترات قوته السياسية أو ضعفه على حد سواء. وتمثل تلك الرحلات معلماً بارزاً في تاريخ أدب الرحلات لدى علماء المغاربة.

وفى محاولة لرصد أثر تلك الرحلات المتعاقبة على الحجاز منذ انطلاق أولئك الرحالة المغاربة للقدوم إلى الحجاز يمكن اعتبار أبي الفقيه أبي بكر محمد بن العربي من فقهاء الأندلس (٤٦٨-٥٤٣ هـ) هو رائد الرحالة المغاربة في الرحلة الحجازية، وكتابه المعنون باسم "الرحلة أو ترتيب الرحلة" الذي ضمنه رحلته إلى المشرق وإن حفظ بعضها فيما نقله كل من ابن خلدون والمقرئ، كما يمكن القول أن الرحالة ابن جبير هو النموذج الراقى لهذا الفن.

وقد كثرت رحلات المغاربة إلى الأراضي المقدسة في الحجاز وتعددت مؤلفاتهم فيها في كتب خاصة بذكر شيوخهم وتراجمهم والكتب التي درسوها، أى أن منها ما يكون رحلة فهرسية مثل رحلة ابن رشيد السبتي الفهرى المسماة "ملء العيبة بما جمع في طول الغيبة في الوجهة الوجيبة مكة وطيبة" أو كتب وصفية مثل رحلة العبدري، وفى كتب الرحلات التي صنفها مؤلفوها في ذكر شيوخهم ومؤلفاتهم فإن تسمية الرحلة فيها ومفهومها يختلف عما عرفناه بالنسبة للرحالة الذين ذكرناهم، فهنا الرحلة مرادفة للفظه فهرسية وبرنامج، ومن أمثلتها رحلة ابن رشيد السبتي المذكورة والتي تعتبر من أقدم ما صنف في هذا المجال، حيث أنها من النوع الكامل في هذا الموضوع وربما سبقتها محاولات للتأليف في القرنين الخامس والسادس الهجريين.^(١)

وهذا النوع من تأليف الرحلة لقي صدى لدى الرحالة المغاربة فوضعوا مؤلفات عديدة على نسق مؤلف ابن رشيد ومنها رحلة أبي القاسم التجيبي (ت ٧٣٠ هـ) وكان سفره سنة ٦٩٦ هـ) وقد ذكرها ابن حجر بقوله "وهي ثلاثة

مجلدات ضخمة وقد حذا فيها حذو ابن رشيد بتضمين رحلته "مشيخة له مستوعبة". وقد ضمن التجيبي رحلته ذكر المشايخ الذين لقيهم في المغرب والأندلس والمشرق، ومؤلفاتهم ومن شيوخه أبو القاسم بن الشاط، وابن دقيق العيد، وأبو القاسم اللبدي وغيرهم ممن تضمنتهم رحلته.

ومن الأمثلة كذلك رحلة البلوى وهو القاضي أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن خالد البلوى، وذكر ابن فرحون أنه اطلع على رحلته هذه المسماة "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" ونقل من تراجمها، وتاريخ رحلة البلوى هو ٧٣٢هـ الموافق ١٣٣١م وقد انتهى من تأليف هذا الذي ضمنه شيوخه الذين لقيهم في تونس والإسكندرية والقاهرة وبيت المقدس والحجاز في سنة ٧٦٧هـ الموافق ١٣٦٥م.

ونلاحظ أن هناك تسلسلا تاريخيا في كتابات الرحالة المغاربة وأخذهم الواحد تلو الآخر من بعضهم البعض واستفادتهم من المراجع والمصادر التي يستخدمونها في المشرق، فمثلا نلاحظ ابتداء من رحلة ابن رشيد السبتي كيف استفاد منها أبو سالم العياشي ثم الذي تلاه من الرحالة المغاربة أمثال الحسين الورثيلاني وكيف اقتبسوا منه، كما أن الرحالة أخذوا يهتمون بتدوين الغرض الرئيس للرحلة وهو توصيف المعارف الضرورية للحاج القادم إلى جزيرة العرب برصد الطريق ومعالمه، وتعداد المراحل، وأسماء الجبال والوديات والبلدان وذكر آبار المياه في الطريق كدليل سياحي إلى مدن الحجاز سواء كان طريق الحج المصري، أو طريق الحج الشامي أو العراقي أو اليمنى، إضافة إلى ذكر أماكن المواقيت والأحكام الفقهية الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم. بالإضافة إلى اهتمام الرحالة بتسجيل مجالس العلماء المتمثلة في الحلقات الدراسية فقد اهتموا أيضا بوصف الطرق التي يسلكها الحاج في طريقه إلى الأراضي المقدسة وخاصة الطرق البرية مع ضرورة التركيز على أماكن وجود الماء، وهو أمر حيوي لعابري الصحراء في طريقهم لأداء فريضة الحج.

ولهذا نجد الرحلات المغربية إلى الحجاز تعنى بهذه الناحية، فنجد رحلة شهير من رحلة القرن الحادي عشر الهجري وهو العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي) المغربي (١٠٣٧-١٠٩٠هـ) ورحلته (مائدة الموائد) (٢). يوضح

الأسباب التى دفعت له لتسجيل رحلته، ومن أهمها المعارف الضرورية للحاج من "أوصاف المسالك وتعداد المراحل وأسماء البلدان وذكر آبار المياه فى الطريق".

ويبدو أن مهمة ضبط هذه المسالك وأسماء المدن وأماكن مصادر المياه كان تبعة يحملها جيل بعد جيل من الرحالة، ويدلنا على ذلك ما ذكره العياشى بعد أن اطلع على رحلة ابن رشيد السبتي بعد عصر ابن الرشيد بحوالى أربعة قرون، فالى جانب إعجابه الشديد بمؤلف ابن رشيد والذي اعتبره من الكتب الفريدة، فإنه اهتم بضبط الأماكن وآبار المياه التى أشار إليها ابن رشيد، لذا فقد كان هذا النوع من الرحلات الدينية يشكل تراثاً يجب الاهتمام به للوقوف على أحوال الحجاز من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية فى الفترات التاريخية المتعاقبة.

والرحالة أبو سالم العياشى الذى قام برحلته فى القرن الحادى عشر الهجرى/السابع عشر ميلادى، يعتبر من أشهر الرحالة المغاربة فقد اهتم بالكتابة المتعمقة عن الحجاز فى تلك الفترة، حيث كانت رحلته قد تحدثت عن منازل الحج ومشاعره المقدسة، وتضم بعض النصوص الفقهية والأدبية والمقطوعات الشعرية، والصفحات التاريخية، ولمحات عن عوائد الناس الاجتماعية وأحوال البلدان والمعالم الجغرافية والمعاملات التجارية وتراجم العلماء.

ومما تجدر الإشارة إليه أن رحلة العياشى أصبحت مثالا يقتدى وأنموذجاً يحتذى، فقد اعتمد كثير من الرحالة ممن جاءوا بعده على ما كتبه لتدوين أخبار رحلاتهم. وقد انفردت مجموعة من الرحالة المغاربة الذين قصدوا الحجاز من بعده مثل تلميذه، أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى الذى وصف بشيخ وإمام المرتحلين فى زمانه ورحلته المسماة "الرحلة الناصرية" حيث أن محتويات رحلة الدرعى وعناوينها مطابقة لما جاء فى رحلة العياشى^(٣).

ويرى بعض الدارسين أن العياشى يعد من ألمع الشخصيات العلمية فى ميدان العلاقات العلمية والصوفية بين المغرب الأقصى والمشرق الإسلامى، فقد حج ثلاث مرات فى عام ١٠٥٩هـ وفى عام ١٠٦٤هـ وفى عام ١٠٧٢هـ بقى فى هذه المرة الأخيرة فى المشرق عامين بحيث لم يعد إلى المغرب إلا فى عام ١٠٧٤هـ. ورحلة "مائدة الموائد" هى التى وصف فيها العياشى المراحل التى مر بها ركب الحجيج المغاربة مع الاعتناء الشديد بالحياة الصوفية والعلمية فى هذه المراحل وخصوصاً

ليبيا ومصر والقدس والحرمين المكي والمدني (الحجاز) وهي من هذا الجانب تعد من أوثق المصادر عن الجوانب التاريخية التي تعرضت لها؛ فصاحبها من كبار فقهاء ومتصوفى المغرب في القرن الحادى عشر الهجرى، ومن هنا تأتى قيمتها مضمونا وتوثيقاً فهي غنية بالمعلومات التى تكاد تتفرد بها عن غيرها ولذلك كان اعتماد القادري عليها حيث أدرك هذه الأهمية فى كتابه النقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار المائة الحادية والثانية عشرة- وفى الاعتماد عليها فى جمع مادته التاريخية أو الاستدلال بها فى تصنيف مؤلفاته وتزكية أسماء المواقع والأماكن بالرجوع إلى المعاجم الجغرافية واللغوية التى كانت بدورها تحدها على أساس كتب المسالك والممالك مثل كتاب الحميرى "الروض المعطار فى خبر الأقطار" وهو معجم جغرافى تاريخى مرتب على حروف المعجم حسب ترتيبها المشرقى^(٤).

ويعد أحمد بن ناصر الدرعى (ت ١١٢٩هـ) من كبار مؤلفى الرحلات الحجازية من المغاربة، فهو فقيه مغربى متصوف وشيخ للزاوية الناصرية بدرعة فى الجنوب الشرقى من المغرب، وقد ألف رحلته المعروفة على نسق رحلة أبى سالم العياشى وقد ضمنها وصفاً رائعاً ودقيقاً لمراحل رحلته إلى الحجاز ذهاباً وإياباً فى عام ١١٢١هـ وضمنها معلومات دينية واجتماعية وأدبية وجغرافية مما جعلها لا تقل أهمية عن رحلة العياشى. وأبو سالم كتب رحلته عام ١٠٧٤هـ وأما ابن ناصر الدرعى فكتبها فى عام ١١٢٢هـ، وهى تغطى مرحلة ما بعد العياشى فتعد بالنسبة للقادري أيضاً من المصادر الأصلية له حيث تقدم له معلومات صادقة ودقيقة، وعليها اعتمد فى تاريخ بعض وفيات المرحلة التى امتدت بين (١٠٧٤- ١١٢٢هـ)^(٥). وإذا علمنا أن مجهود أحمد بن ناصر الدرعى ليس فقط فى اتخاذ نهج العياشى فى أسلوب رحلته إلا أنه أكمل كتابة الفترة التى شاهدها ووصفها حينما قام بنفسه بتغطية الفترة حتى سنة ١١٢٢هـ.

ويبدو أن رحلة مائدة الموائد لم تكن مشهورة فى المغرب فحسب بل كانت كذلك بالنسبة لكل رحالة تونس والجزائر أيضاً حيث أشار إليها الرحالة الجزائري الحسين بن محمد الورثيلانى ورحلته المعروفة "نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار"^(٦).

وقد حج الوريثلاني ثلاث مرات على الأقل، الأولى كانت سنة ١١٥٣هـ، والثانية سنة ١١٦٦هـ والثالثة سنة ١١٧٩هـ ويبدو أنه كان يجمع أخبار الحجاز في كل مرة غير أن الحجة الأخيرة هي التي حملته على كتابة رحلته المذكورة، وفي الحجات الثلاث أيضاً كان يتوقف في المدن وزوايا وطنه، ويزور ويأخذ الطريقة والعلم على مشائخها وعلمائها كما فعل نفس الشيء في تونس ومصر والحجاز، وقد سجل ذلك في رحلته (٧). وسنتعرض لدراسة الرحلة بالتفصيل. ولم يكتب الوريثلاني رحلته بيده، ولكنه أملاها إملاءً على تلاميذه كما جرت عادة المشائخ عندئذ ولذلك تعددت نسخها وكثر فيها الخطأ كما افتقرت إلى المنهج القويم وامتلات بالاستطرادات والتكرار.

واعتمد الوريثلاني في رحلته على مصادر كثيرة، بعضها يتعلق بالجزائر والمغرب العربي عموماً، وبعضها يتعلق بالمشرق، ولا سيما الجزيرة العربية، ومما يهمننا من مصادر بعد المشاهدة الشخصية؛ رحلة العياشي، ورحلة الدرعي، والسمهودي، والمقريزي، وابن فرحون، والبكري، والعبدي، والسيوطي، وابن رشيد. وكان الوريثلاني كثيراً ما يعتمد على هذه المصادر، حتى أنه كان ينقل منها حرفياً نقلاً، تارةً منسوباً إلى صاحبه وتارةً غير منسوب، وأكثر ما يكون ذلك في وصف الجبال في الجزيرة العربية ووديانها وطرقها ومدنها وآثارها وعادات أهلها وأبارها ومياهها ومساجدها وأخبارها.

والظاهر أن الوريثلاني كان مهتماً بالمذاهب والملل، فهو رجل مالكي المذهب حسنى النسب - حسب دعواه - طرقي السلوك، كان لا ينفك يبحث عن الأنساب ورجال الإصلاح وأصحاب الكرامات والولايات وكان ذلك واضحاً من حديثه عن هؤلاء، في بلاده وفي مصر وطرابلس والحجاز وغيرها، وكان ينقل الكثير من ذلك عن المصادر التي أشرنا إليها، وعندما مر هو ببدر قال عنها "وقد توطنها الأشراف ونزلوا بها من قديم الزمان وفيها أهل السنة، وكذا الزيدية أعنى الخوارج الظاهرية وهم في الاعتقاد قدرية ... " (٨)

ولم تختلف دوافع الرحالة المغاربة منذ بداية الرحلات المغربية إلى الشرق بقصد طلب العلم والأخذ من ينباع الأولى والعلماء المشهورين، والحج والعودة لنشر الدين وتعلمه في البلاد الأفريقية، فإننا نلاحظ أن أغلب الرحالة المشهورين

كانوا علماء وفقهاء قام بعضهم بالتدريس في الحرمين الشريفين بعد أن تمكنوا من المجاورة لبعض الوقت أو لفترة طويلة فضلاً عن اهتمامهم بنقل المصادر والاستفادة منها بالاطلاع عليها ونسخها أو عن طريق الشراء حينما كان سلاطين الدولة العلوية ومن قبلهم سلاطين الدولة السعدية يرسلون الرسل بالأموال لشراء الكتب من مصر مثلاً مثلما فعل السلطان أحمد المنصور السعدى الذى أجرى اتصالات مع مختلف جهات العالم فى سبيل إغناء مكتبته، فاتصل بعلماء مصر وعلماء الدولة العثمانية بتركيا، وبالعلماء والأمراء بالحرمين الشريفين، وجاء فى إحدى الرسائل السعدية التى حققها الأستاذ عبد الله كنون أن رجالاً من البلاط السعدى كانوا يذهبون بانتظام إلى المشرق وفى رواحهم صناديق مملوءة ذهباً ليعودوا بها مملوءة كتباً، ومن الجانب الآخر فإن عدداً من شيوخ الزوايا كانوا يغتيمون فرص وجودهم فى البلدان العربية الإسلامية التى يقطعونها فى طريقهم إلى الحج فيشترون من الكتب ما هو متوقع أن يطلبه الطلبة الذين يرحلون إلى الزوايا من أجل العلم.

ويحدثنا الناصرى فى المزاي أن الشيخ أبا العباس ابن ناصر اشترى لخزانة الزاوية كتباً بالأحمال من المشرق والمغرب، ولما عثر على كتب بمصر سيحتاجها طلبة الزاوية استلف ألفاً من المئاقيل واشترى بها كتباً^(٩).

وبالرغم من أن رحلة ابن عمار لا تأخذ بأسلوب رحلة العياشى إلا أنها لا تقل أهمية منها وتعتبر رحلة ابن عمار الجزائرى وهو مفتى المالكية فى وقته من أشهر الرحلات التى قام صاحبها بها بعد أن جاور مكة المكرمة مدة طويلة، حيث أن ابن عمار قد حج سنة ١١٦٦هـ وبقي فى مكة حتى سنة ١١٧٢هـ.

وهذه الإقامة الطويلة قد جعلته يتعرف على أمور كثيرة فيها لا يهتدى إليها عامة الحجاج، وقد كان ابن عمار شاعراً حتى اشتهر بين معاصريه بأنه محبى طريقة الفتح بن خاقان ولسان الدين ابن الخطيب، وكان مفتياً صاحب رأى واجتهاد فى الدين والاجتماع، وله مؤلفات من أهمها "لواء النصر فى فضلاء العصر" الذى ترجم فيه كما أخبر بنفسه لعلماء القرن الحادى عشر وأوائل الثانى عشر للهجرة، ولكن ابن عمار اشتهر برحلته المسماة "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" حيث قسم ابن عمار رحلته إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول جعل عنوانه "مقدمة" ويبدو أنه كان يريد أن يجعل من هذا القسم خزانة أدب - كما يقول أبو القاسم سعد الله -

يجمع فيها النوادر والأشعار والأخبار المتفرقة عن مولد الرسول والأشواق إلى السبقاق الطاهرة لذلك ظهرت مختاراته من الشعر والنثر حتى بلغت المقدمة وحدها حين طبعت ٢٥٤ صفحة من الحجم المتوسط، وهذا القسم هو الموجود الآن من رحلة ابن عمار، وقد تحدث فيه عن الأسباب التي دعت إلى تأليف الرحلة وسبب تسميتها "رحلة اللبيب" ^(١٠). وبين ضرورة الحج شرعاً مستشهداً على ذلك بالآيات والأحاديث ومآثر الشعر والنثر، وعبر عن عزمه في المقدمة على الحج أوائل سنة ١١٦٦هـ. وعن شوقه الحار إلى الحجاز. ولا نعلم إذا كان ابن عمار أراد مرافقة الحسين الوريثي لاني في حجه أم أنها كانت مجرد صدفة في أن يتم حجها معاً في سنة واحدة، حيث أنه لم يذكر مرافقته له، وربما ذكر ذلك في الجزء الثاني المفقود الذي أطلق عليه "الغرض المقصود" والقسم الثالث الذي سماه "خاتمة". ولكن القسمين مفقودان الآن، ولا شك أن القسم الثاني هو أساس الرحلة وهدفها، والمؤلف نفسه يذكر أنه تناول فيه ما يحدث في السفر إلى الإياب وحط الرحال.

وقد أورد معاصره أبو راس الناصري، ما يفيد أن ابن عمار قد انتهى من رحلته كما يفيد كلامه عنه، أنه قد اشتهر بهذه الرحلة حتى أصبح اسمه لا يذكر إلا ملتصقاً بها. وقد مر أبو راس بمدينة الجزائر وهو في طريقه إلى الحج سنة ١٢٠٤ هـ وسجل في مذكراته أنه قد لقي فيها بعالمها أحمد بن عمار (مؤلف الرحلة) ^(١١).

وقد ترتبت عن رحلة العلماء المغاربة إلى الحجاز أهم ظاهرة تميز الفكر المغربي وهي الأخذ بالمذهب المالكي، وانضواؤه موحداً تحت لوائه، وعلى هذه المرحلة اعتمد ابن خلدون حين أراد أن يعلل لانتشار المذهب المالكي في المغرب حيث ذهب إلى أن رحلة المغاربة "كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها (أي العلم) خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقترضوا على الأخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك ... فرجع إليه أهل المغرب وقلدوه دون غيره" ^(١٢).

وكان أعلام الحجاج المغاربة، يضيفون إلى النسك والزيارة العناية بالأخذ - دراية أو رواية - عن مشايخ البلدين المكرمين، ولهذا يفتح عدد من الرحلات المغربية بلوائح لأعلام هذه الجهات: المقيمين أو المجاورين، على أن بعض المؤلفين يسجلون لأسانذتهم تراجم قد تشمل على معلومات تخلو منها المعاجم الموضوعية، ومنهم من يثبت نصوص الإجازات.

والمؤلفون الذين يجاورون فتطول إقامتهم، يدنون خواطرهم وملاحظاتهم عن المظاهر الحضارية، البقاع المقدسة، فتشمل الاقتصاد والعادات والأزياء ومواكب الأمراء وأنظمة الأغوات وما إلى ذلك، كما كان للمتقنين من الحجاج شغف بالبحث عن الذخائر ونوادر المؤلفات ونماذج هذه الظاهرة كثيرة. فابن جبير، والتجيبى، وابن بطوطة: يعتر جميعهم برؤية المصحف العتيق المنسوب للخليفة الراشد عثمان بن عفان، حيث كان محفوظاً بالبيت الحرام.

كما يذكر ابن جبير خزانة المالكية بالحرم المكي، ثم مصحف نفس الخليفة بالمسجد النبوي ويتحدث ابن بطوطة عن اخزان المصاحف الكريمة والكتب فى قبة الشراب التى تلى قبة بير زمزم، ونحو منه عند البلوى، وهو يتحدث أيضاً عن خزانتي كبيرتين بالمسجد النبوي: للكتب والمصاحف الموقوفة.

ومن الواضح أن هذه المشاهدات تمتد أزمنتها من أواخر المائة الهجرية السادسة حتى أواسط الثامنة، وفى القرن الحادى عشر الهجرى يقول السراج وهو فى رحلته- المسجد النبوي: وبأزاء المحراب من جهة المشرق، خزانتان كبيرتان تحتوى على كتب علمية، ومصاحف قرآنية موقوفة على المسجد المبارك^(١٣).

ثم يشير العياشى- فى الفترة ذاتها- إلى الذخائر والمكتبات بالحرمين الشريفين فى المدينة المنورة بالمسجد النبوي: ريعات المصاحف العتيقة، وأجزاء قرآنية كريمة، وخزائن الكتب العلمية الموقوفة بالمقام الشريف برسم الإعارة ثم خزائن خاصة لصديق المؤلف: أحمد بن التاج، وكانت عامرة.

وخزانة كتب وقف السلطان قايتباى جوار المسجد النبوي. وبمكة المكرمة يذكر المؤلف ذاته خزانة خاصة لشيخه أبى عيسى مهدي الثعالبي، وكان وضعها بأحد أروقة البيت الحرام ثم أتلّفها السيل الذى دهم المسجد الحرام عام ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م. ثم خزانة رباط الموفق ومن نوادرها عدة أجزاء من رحلة ابن رشيد فى وقف المغاربة بهذا الرباط. وأخيراً خزانة رباط قايتباى.

ومن أبى سالم العياشى، ننقل إلى رحلة الغنامى الذى ذكر حديثاً دار بينه وبين سليمان الحصينى: "فسأله الغنامى هل هنا بالمدينة كتب؟ قال الحصينى: ما من عالم صنف كتاباً بالمشرق أو بالسند أو الهند أو العراق أو غيره من الأقاليم إلا

يصرف نسخة للمدينة المشرفة تبركاً ورجاء الإقبال على كتابه، أطلب ما شئت تجده في كل فن من العلوم" (١٤).

وإذا انتهينا إلى أواخر المائة الثانية عشرة، نلتقى بالرحلة الناصرية الكبرى حيث يعقد مؤلفها فضلاً عما وقف عليه بمكة المكرمة من الكتب النادرة وفي نحو التاريخ المشار إليه يزور الزياني خزانة وقف السلطان قايتباي بالمدينة ذاتها، ويفيد من أحد محفوظاتها: تاريخ الإسلام الذهبي في ٧٠ جزءاً.

وعلى ما يبدو أن ذكر مراحل الحج ووصف الطريق إلى الحج كان هو هدف كل من كتب رحلة مغربية إلى الحجاز سواء كان من موريتانيا أو من المغرب الأقصى أو من تونس أو الجزائر أو من بلاد الشام أو العراق أو اليمن أو أى مكان آخر، ويعتمد كتاب الرحلة على الكتب الجغرافية في وصف البلاد والمسافات بينها، وتؤكد الرحلات على الوصف الدقيق لهذه الأماكن والمراحل التي يقطعها الحاج في طريقه لأداء الحج. وذكر الصعوبات الطبوغرافية في اجتيازهم للصحارى مع انعدام الماء الصالح للشرب أو تعرض طريق الحاج للنهب والسرقة أو انعدام الأمن والخوف من البدو أو الشياطين الذين يخدمون المسافرين.

ودأب كتاب الرحلة إلى اقتباس الأحدث منهم من الأقدم، ويرجعون إلى كتب الجغرافيا، وإلى كتب الفقه في اتباع حكم الشرع في الأفعال والأقوال منذ خروج ركب الحج المغربى أو الجزائرى أو التونسى فكان لابد أن يكون معهم فقيه يرجع إليه وقت الحاجة وذلك كما في الحال التي ذكرها الورثيلاني، هناك جدل يظهر أحياناً من الطلاب المرافقين للركب فيعمدون إلى الفقهاء للاستفادة من الفتوى سواء في الطريق أو حينما يقومون بأداء الشعائر الخاصة بالحج والزيارة لأن فترة سير قافلة الحج العربية المصرية أو الشمال أفريقية تكون طويلة وتكون في وقت متقارب، فقد كانت قافلة الحج المصرى في القرن السادس عشر والسابع عشر تغادر القاهرة على الأغلب في اليوم التاسع عشر من شهر شوال من كل عام وتعود إليها في أواخر شهر محرم، أما في القرن الثامن عشر حيث ساد الاضطراب والفوضى فكثيراً ما يتأخر تجهيز القافلة بسبب مطالة الأمراء المماليك في دفع نفقات الرحلة أصبحت قافلة الحج تخرج من مصر في أواخر شهر شوال وتعود إليها في النصف الأول من شهر صفر، فيما عدا استثناءات

بسيطة ولظروف خاصة. وتستغرق رحلة الحج حوالى ثلاثة أشهر إذ يستغرق الذهاب أربعين يوماً ومثلها فى العودة ^(١٥) هذا فى الرحلة من مصر إلى الحج، أما فى حال الرحلة الجزائرية أو التونسية أو المغربية أو الشنقيطية الموريتانية فيكون الحال مختلفاً لبعده تلك المناطق عن مصر.

وبالرغم من أن الورثيلانى مثلاً لم يذكر لنا عن وجود رحلة حج بحرية تغادر الجزائر إلا أن "جوزيف بتس" انطلق فى رحلته من الجزائر بحراً إلى الإسكندرية وكان ذلك سنة ١٦٨٠م ^(١٦) حوالى سنة ١٠٩١هـ. وعلى الرغم من أن العياشى الذى حج ثلاث مرات فى سنوات ١٠٥٩هـ، ١٠٦٤هـ، وفى عام ١٠٧٢هـ لم يفكر أن يستخدم البحر وكذلك الحال مع الحسن الورثيلانى الذى حج ثلاث مرات كذلك، على الأقل، فى سنوات ١١٥٣هـ ١١٦٦هـ ١١٧٩هـ. فإذا كان العياشى مغربياً والحسن الورثيلانى جزائرياً فقد عرفت الجزائر رحلة الحج البحرية من الجزائر إلى الإسكندرية منذ القرن السابع عشر، على الأقل، أى فى الفترة التى حج فيها الحسن الورثيلانى، وكان المنادى ينادى فى مدينة الجزائر حينما تكون إحدى السفن جاهزة للإبحار إلى الإسكندرية وميعاد إقلاعها، لأن السفر بحراً أقل إرهاقاً وتكلفة من السفر براً. ويصف لنا (جوزيف بتس) الرحلة من الجزائر إلى الإسكندرية أنها تستغرق ثلاثين أو أربعين يوماً. وتستمر بعد ذلك من الإسكندرية إلى رشيد ومنها إلى القاهرة ومن القاهرة إلى السويس. وعلى ما يبدو أن الملاحة فى النيل من رشيد إلى القاهرة كانت شائعة فإنها أصبحت طريقاً للحجاج حيث أنهم كانوا يتعرضون للصوص فى النيل، لأن اللصوص يعلمون أن الحجاج يحملون معهم مبالغ مالية، لذا فهم يحاولون نهبهم ^(١٧).

فإذا كان استخدام السفن سائراً من الجزائر إلى الإسكندرية فلم يذكره الحسن الورثيلانى ولا نعلم لماذا؟ هل لأنه أراد أن يستخدم الرحلة البرية لأسباب اقتصادية أو لأسباب أخرى مثلما أشار هو إلى حبه للزوايا والأضرحة الصوفية الذين كان يمر عليها ويزورها فى طريقه من مدينته حتى وصل إلى مصر.

وعلى كل الأحوال فقد بطل استخدام الطريق البرى للحج مؤخراً بعد رحلة الورثيلانى كما ذكر الجبرتى فى عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م حينما قال: "فقد سافرت قافلة الحج والمحمل من السويس وباع الحجاج جمالهم قبل السفر فأصبحت رحلة

الحاج أقل صعوبة مما كانت فى الماضى وقد تم التحول تماماً إلى طريق البحر الأحمر ابتداءً من سنة ١٨٥٨م حين حلت السفن البخارية محل السفن الشراعية فى نقل الحجاج بين السويس وجدة ثم جاء إنشاء الخط الحديدى من الإسكندرية والقاهرة والسويس فزاد استخدام طريق البحر الأحمر^(١٨).

وبقى المغاربة فى متابعة ركب الحج المغربى الذى ينطلق من المغرب وليبيا والجزائر وتونس وبلاد البرية السنوية لأداء فريضة الحج عبر مصر حتى تطورت وسائل النقل البرى والبحرى والجوى وأصبح الحج ميسراً والحمد لله.

استعراض لأهم الرحلات المغربية للحجاز:

- أقدم الرحلات الأندلسية بل أولها "رحلة حجازية أندلسية" هى التى دونها ابن جبير عن حجته التى بدأ السفر لها- من غرناطة- عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م.

- أقدم الرحلات من العودة المغربية، يعود تاريخها إلى أواخر المائة الهجرية السابعة حيث سافر ابن رشيد: محمد بن عمر بن محمد الفهرى من بلده سبتة، وقد بدأ وجهته- للبقاع المقدسة- من أواخر عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م. وهى المسماة: "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيبة مكة وطيبة".

- وفى المائة الهجرية الثامنة عرفت اثنتان من هذه المدونات: واحدة من المغرب "تحفة النظار" لابن بطوطة، ابتداءً من عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م والثانية من الأندلس "تاج المغرق" للبلوى: ٧٣٦هـ/١٣٣٦م.

وتتوقف الرحلة الحجازية زهاء ثلاثة قرون: ولا يستثنى من ذلك سوى رحلة القلصادى: على بن محمد بن محمد الأندلسى البسطى، وكانت حجته عام ٨٥١هـ/١٤٧٦م وهو يدرج حديثها ضمن فهرسة أشياخه.

وإن هذا الفراغ فى تدوين الرحلات، يكشف عن تراجع سفر المغاربة للحجاز خلال هذه الحقبة الطويلة، ويبدو أن من أسباب ذلك، اشتغال من يهتمهم الأمر فى العدوتين، بمقارعة المد الأجنبى الذى داهم المغرب الإسلامى^(١٩). ولما سقطت الأندلس انتهت منها كتابة هذه الرحلات بالعربية.

أما المغاربة فى العودة الأخرى، فقد استأنفوا التأليف فى هذا الاتجاه انطلاقاً من المائة الحادية عشرة الهجرية ثم أخذ تدوين الرحلات يتكاثر فى القرنين الثانى

والثالث عشر الهجرى. والملاحظ أن هذه الرحلات تميزت بوصف ارتساماتها عن الحرمين الشريفين، مع المسالك المؤدية إليها عبر جدة، أو على طريق مصر والشام، وأحياناً طريق العراق: الجهة التى سلكها ابن جبير عند عودته، ثم سافر عليها ابن بطوطة مرتين^(٢٠).

* الرحلات:

١- رحلة ابن جبير: محمد أحمد الكتانى البلبسى، المتوفى عام ٦١٤هـ/١٢١٧م، "تذكره الأخبار عن اتفاقات الأسفار" مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م فى ٣٣٢ صفحة وانظر عن طبعاتها الأخرى سر كيس فى معجم المطبوعات ٦٢ع.

وكانت حجتة التى دون عنها الرحلة فى عام ٥٧٩هـ/١١٨٤م.

٢- أبى القاسم التجيبى: القاسم بن يوسف بن محمد السبتي، المتوفى عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م والمعرفة باسم "مستفاد الرحلة والاغتراب" والمعروف منها- الآن- مجلد واحد يتناول سفره للديار المصرية وجدة ومكة المكرمة عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م. وقد نشر بتونس- لأول مرة- فى مطبعة الشركة التونسية لصون الرسم عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. فى ٤٦٨ صفحة عدا المقدمة والفهارس.

٣- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى الطنجى، استمر بقيد الحياة حتى عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨-١٣٦٩م رحلته المسماة "تحفة النظار، فى غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار". وقد وقعت حجتة الأولى عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م.

نشرتها المكتبة التجارية الكبرى بمصر فى جزئين: وانظر عن طبعاتها الأخرى: سر كيس فى معجم المطبوعات ٤٩ع.

وهو والزيانى أضافا إلى وصف معالم الحج والزيارة ومسالكها ذكر جهات أخرى بالحجاز واليمن وما إليها، على اقتضاب فى ارتسامات هذا الأخير^(٢١).

٤- البلوى: خالد بن أحمد الأندلسى القنتورى، كان بقيد الحياة عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م. وقد حج عام ٧٣٦هـ/١٣٣٦م.

لا تزال هذه الرحلة فى نسخ متعددة بالمغرب ومنها واحدة م.م ١٤٤ ضمن مجموعة: ص ١٨٤-٣٥٦ حيث يوجد موضوع الحجاز ص ١٩٦-٢٣٧.

٥- ابن مليح: محمد بن أحمد بن عبد العزيز القيسي، تاريخ وفاته غير معروف، وكانت رحلته للحجاز ما بين عامي ١٠٤٠ و ١٠٤٢هـ (١٦٣٠ و ١٦٣٣م). وتسمى رحلته "أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب".

نشر بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي الفهري بمطبعة محمد الخامس بفاس عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م في ١٤٥ صفحة عدا المقدمة والفهرس.

٦- العياشي: أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، المتوفى عام ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م المسماة بالرحلة العياشية.

المطبعة الحجرية الفارسية عام ١٣١٦هـ في مجلدين وفي الرباط الطبعة الثانية مصورة على الأوفسيت عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. كَوّن فيها أخبار حجتة الثالثة عام ١٠٧٢هـ/١٦٦١-١٦٦٢م. وبعض مخطوطات هذه الرحلة، مذيّل بنصوص الإجازات المشرقية ومنها نسخة المؤلف بخطه وهي محفوظة بمكتبة الزاوية الحمزاوية في إقليم قصر السوق وقد نشر حديثاً الجزء الخاص بالمدينة المنورة بتحقيق الدكتور محمد أمحزون نشرته دار الأرقم للنشر والتوزيع في الكويت سنة ١٩٨٨م.

٧- اليوسى: أبي على الحسن بن مسعود، المتوفى عام ١١٠٢هـ/١٦٩١م من جمع ولده محمد، ورحلته تسمى "رحلة أبي على اليوسى" مخطوطة م.م ٢٣٤٣ في ٥٤ صفحة من الحجم الصغير، وموضوع الحجاز بها من صفحة ٢٧ إلى صفحة ٤٦ (٢٢).

٨- الغنامى: عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوى المزمى، ورحلته تسمى "رحلة القاصدين ورغبة الزائرين"، تاريخ وفاته غير معروف، وقعت حجتة في أواخر عام ١١٤١هـ/١٧٢٩م منها مخطوطة فريدة م.م ٥٦٥٦ في ٢٤ صفحة مستطيلة، مبتورة يسيراً من الآخر وحجاراتها من صفحة ٢ إلى صفحة ١١.

٩- الإسحاقى، محمد الشرقى بن محمد، رحلته تسمى "رحلة الإسحاقى"، تاريخ وفاته غير مضبوط وحج عام ١١٤٣هـ/١٧٣٠م.

يقع الموجود منها في مجلد يشتمل على ٣٨٩ صفحة حسب مخطوط م.م ١٤٢٨ ز وهى فيما يرجع مأخوذة من نسخة القرويين رقم ٢٥٨.

ومن الصفحة ٢٠٥ حتى ٣٨٩ أسهب الإسحاقى فى الحديث عن مكة المكرمة وما إليها، حيث ينتهى هذا الجزء بعد الانتقال إلى المدينة المنورة.

١٠- أبى مدين الدرعى: محمد بن أحمد الصغير السوسى الأصل المتوفى عام ١١٥٧ هـ/١٧٤٤م. رحلته تسمى "رحلة أبى مدين الدرعى". مخطوطة المؤلف خ.ع ٢٩٧ ضمن مجموعة من صفحة ١٢٠ إلى صفحة ٢٨٠ وحجته عام ١١٥٢ هـ/١٨٣٩م حيث استغرقت حجازياتها من صفحة ١١٤ إلى صفحة ٢٠٦.

١١- أحمد بن عبد الله العربى الرباطى الدكالى (١١٧٨ هـ/١٧٦٤م) الذى رحل إلى المشرق عام ١١٤٠ هـ/١٧٢٧م وأخذ عن شيوخ مصر والحرمين وصار صيته فى الحجاز، فأصبح أحد سفراء الشرق لا فى المغرب الأقصى وحده بل من فاس إلى دكار وذلك نظراً للدور الذى كانت تقوم به جامعة القرويين وعلمائها بين الشناقطة وأهل السنغال من خلال مذهب واحد تغلغلت جذوره فى قلب الحواضر والبوادر وهو مذهب إمام المدينة مالك بن أنس، ويكفى أن نلاحظ أن على ابن عبد القادر الشرقى باشا السودان (أى السودان الغربى أو السنغال الحالية) هو الذى ترأس ركب الحجيج السودانى عام ١٠٤٠ هـ/١٦٣٠م وصحبه الرحالة المغربى ابن المليح الذى أشرنا آنفاً إلى رحلته، حيث كانت مواكب الحجيج من دكار إلى فاس تتجمع لتأليف قوافل ما يمكن أن نسميه اليوم "بأفريقيا الشمالية الغربية".

وبعض هؤلاء الحجاج لم يصنفوا الرحلات بل صنّفوا فى "مناسك الحج وآداب الزيارة ومنهم أحمد بن قاسم جسوس ١١٣٣١ هـ/١٩١٢م الذى توجد مخطوطة كتابته فى المكتبة العامة بالرباط (عدد ١٨٢١) وأحمد بلقاسم الكرسيفى السوسى.

١٢- الناصرى: محمد بن عبد السلام الدرعى. المتوفى عام ١٢٣٩ هـ/١٨٢٣م ورحلته تسمى "الرحلة الكبرى". نسخة المؤلف بخطه الممهشة بإلحاقاته م.م ٥٦٥٨ (المكتبة الملكية بالرباط) دون فيها أخبار رحلته الحجازية عام ١١٩٦ هـ/١٧٨١م حيث ورد بها حديث هذه المنطقة صفحة ١٨٣-٢٧٧.

١٣- الزيانى: أبى القاسم بن أحمد، المتوفى عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، مطبعة فضال بالمغرب فى صفحة ٦٦١ صفحة نصاً وتقدماً وتعليق، عمل الأستاذ عبد الكريم السفيكالى ورحلته المسماة الترجمانة الكبرى التى جمعت أخبار العالم براً وبحراً (٢٣).

١٤- أبو راس: محمد بن أحمد بن عبد القادر الناصرى المعسكرى الجزائرى الجليلى ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م. له عجائب "أو غرائب الأسفار" (نسخ بالجزائر عدد ١٦٣٢، وتلمسان عدد ٩٦، وباريس عدد ٥١١٤).

١٥- أحمد بن محمد أحزى الهشتوكى، له رحلة أسماها "هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام" وتوجد بخط المؤلف بخزانة تمكوت الصحراء رقم ٢٧٦، وقد شرع فى هذه الرحلة عام ١٠٩٦ هـ/١٦٨٤م (٢٤).

١٦- إدريس بن عبد الهادى الشاكرى ١٣٣١هـ/١٩١٣م، له رحلة حجازية فى كراستين، توجد نسخة منها فى المكتبة العامة بالرباط عدد ١١١٥ ونسخة أخرى فى مكتبة الكلاوى، وقد حج عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١ وفى رحلة ثانية إلى الحج توفى بالحجاز.

١٧- عبد السلام بن محمد بن المعطى السريغى العمرانى المراكشى، له رحلة قام بها مع شيخ سيدى محمد الكتانى عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م وتوجد نسخة منها بخزانة الكتانى بالمكتبة العامة بالرباط.

١٨- محمد بن محمد الثامراوى ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م. له رحلة قام بها عام ١٢٤٢هـ أوردها بنصها محمد المختار السوسى فى كتابه المعسول (ج ٨ ص ٢١٣-١٩٨). ومن فوائد الرحلة أن المؤلف جلب كتباً كثيرة بخط مشرقى عززت التبادل الثقافى بين المشرق والمغرب.

١٩- محمد بن منصور العامرى التازى، المتوفى حوالى ١١٧٠هـ/١٧٥٦م، له "الرحلة العامرية" وصف فيها المراحل من تازة إلى الحرمين والشام، وهى همزية نظمها فى ٣٣٥ بيتاً عام ١١٥٢هـ. وتوجد منها نسخة بالمكتبة الأحمدية بفاس، ونسختان بمكتبة الأستاذ محمد المنونى بمكناس: أحدهما بخط المؤلف

وقد نشر المنونى نص هذه الرحلة فى كتابه ركب الحج المغربى، (ص ٨٨) نظم مراحل الحجاز مع شرحه لابن غازى المكناسى.

والمغاربة الذين جاؤوا فى الحجاز وطافوا بالمعمور ناقلين روائع الفكر الإسلامى الحجازى وخاصة المكى والمدنى إلى مختلف الجهات نذكر منهم:

٢٠- محمد المجيدى اليعقوبى المغربى الذى كان أحد أربعة لم يبلغ أحد مبلغهم فى عصره وهو القرن الثانى عشر الهجرى، وكانت له جولات فى الحجاز وسائر أقطار الشرق، وقد أفرد بعض هؤلاء الشيوخ التأليف لعلماء الشرق أو بعض عواصم الشرق فقد صنف (حازم) صاحب المقصورة والشيخ ابن رشيد السبتي "الدرة المضيئة فى تاريخ الإسكندرية" فى مجلدات "والمستفاد من شيوخ بغداد" (درة الحبال ص ١٣٧). وما ناب عواصم الشرق هو قليل من كثير مما كتب حول الحرمين الشريفين.

٢١- عبد الله السوسى الأديب الشاعر الذى أقام بتونس وفاق أقرانه، ثم توجه إلى الشرق وخاصة الحجاز واستفاد من علمائه، وعاد إلى أفريقيا حيث نقله الأمير على إلى تونس (عيون الأديب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب) للشيخ محمد النيفر ح ٢ ص ٢٠ طبعة تونس ١٣٥١هـ.

٢٢- محمد بن خليفة المدنى الرحالة الشاعر الذى توفى بمكناس ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥ م، (الإعلام للمراكشى ح ٦ ص ١٧٨ مخطوط).

٢٣- محمد الفاطمى بن الحسين الصقلى الشاعر المحاضر، دفن المدينة المنورة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣ م. له تاريخ فى علماء عصره (الإعلام للمراكشى ح ٦ ص ١٥٧، مخطوط) وقد افتتحه بشيخه على بن ظاهر الوترى، مسند المدينة المنورة (١٢٦١هـ/ ١٣٢٢ م) الذى زار المغرب مرتين (١٢٨٧هـ، ١٢٩٧هـ) وأخذ عن علماء مغاربة كثيرين وابن ظاهر هذا هو الذى أحيا موات الرواية بالمغرب وأنعشها بالمشرق (الإعلام للمراكشى ح ٧ ص ١٣٥، مخطوط).

٢٤- محمد بن أحمد بن سالم الصباغ المكى، الذى توفى فى رحلته إلى المغرب عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٢ م، له "تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام" (الإعلام للزركلى ح ٦ ص ٢٤٧، ملحق بروكلمان ح ٢ ص ٨١٥، دار الكتب ح ٥ ص ١٢٥) (٢٥).

رحلة تزيمة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار

- أنموذجاً لأدب الرحلة:

مؤلفها الحسين بن محمد الورثيلانى، وقد أملى الرحلة على تلاميذه، فكتب المخطوطة هو عبد القادر الصغير، وقد كتبها إملاءً من أساتذته الورثيلانى، كما أفاد فى مقدمة الكتاب، الذى حققه محمد بن أبى شنب وطبعه فى مطبعة بيبرفونتاناً بالجزائر سنة ١٩٠٨م.

ولد المؤلف سنة ١١٢٥هـ وتوفى فى رمضان ١١٩٣هـ فى الجزائر، وأسرته من أهل الطرق الصوفية تدعى الشرف حيث تربى وتنقف بين الزوايا الصوفية حتى أصبح مرابطاً وشيخاً للطريقة الشاذلية.

- مؤلفات الورثيلانى:

- ١- شرحه على القدسية للإمام المحقق عبد الرحمن الأخضر.
 - ٢- شرحه على وسطى الإمام السنوسى.
 - ٣- شرحه على محصل المقاصد للإمام أبى العباس أحمد بن زكرى التلمسانى.
 - ٤- شرح خطبة شرح الصغرى للسنوسى.
 - ٥- حاشية على حاشية المحقق السكتانى التى وصفها على شرح السنوسى.
 - ٦- رسالة على قول بعض الأولياء "وقفت على ساحل وقف الأنبياء دونه ... الخ.
 - ٧- رسالة على قول بعض الأولياء: "برنسا من ماء وغطيت به من الأرض إلى السماء ... الخ
 - ٨- حاشية على صغير الخرشى.
 - ٩- تشطير قصيدة البردة للبصيرى.
- وصف الكتاب:

يقع الكتاب المطبوع فى ثمانمائة وأربع عشرة صفحة من الحجم الكبير بما فيها كلمة المحقق وترجمة المصنف كاتب المخطوطة، بطباعة مغربية جميلة. ويتبع

المحقق في التحقيق أسلوب توضيح الفرق بين النسخ بتوضيح الساقط في بعض النسخ الأخرى وإثباته في الهامش دون المساس بالمتن، ويرجع إلى بعض المصادر في تحقيق الكلمات مقتبسة منها، مثل رجوعه إلى كتاب الرحلة الناصرية لتصحيح بعض الكلمات مثلما وجد في ص (٨٨) وفي مواضع أخرى ص (٢٠٢) ثم أعد المحقق فهرس خمسة للكتاب؛ فكان الفهرس الأول لأبواب الكتاب، والفهرس الثاني يتعلق بأسماء الرجال والنساء والقبائل مرتبة ترتيباً هجائياً، والفهرس الثالث يتعلق بأسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار، أما الفهرس الرابع فكان يخص أسماء الكتب الواردة في الرحلة بينما كان الفهرس الخامس يتعلق بقوافي أبيات الشعر الواردة في الرحلة.

- عصر المؤلف:

تعكس رحلة الورثيلاني حالة بلاد الجزائر وشمال أفريقيا وحالة بلاد الحجاز في السنوات الثلاث التي حج فيها الورثيلاني، وترجع أهمية الرحلة إلى بُعد مؤلفها عن التأثيرات السياسية الموجهة حيث لم يكن قريباً من الحكام بل كان قريباً من الزوايا والتصوف مما جعل انتاجه الفكري عاماً وبصورة تلقائية معبراً عن طابع المجتمع الجزائري بل المغربي بصفة عامة آنذاك من ناحية اهتمامه بالتصوف والأولياء والصالحين، ولهذا نجد الورثيلاني يمدنا بصورة لمجتمع الجزائر وملاحمه، سواء مجتمع المدن الكبيرة أو الصغيرة، كالزاب وبسكرة، بلاد الجريد، تونس، قابس، طرابلس... الخ. ويساعدنا كذلك على معرفة عقلية الجزائريين في تلك الفترة التي دخلت تحت الحكم العثماني الذي استغرق ثلاثة قرون (من أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي إلى سنة ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) حيث احتل الفرنسيون الجزائر).

لقد وصفت هذه الفترة بنقلص الحياة العلمية في الجزائر بما فيها بدائية التعليم ونقص المدارس وقلة التأليف وعدم الاهتمام بالعلم والمتقنين بالإضافة إلى أن الجزائر العثمانية لم تكن تتوفر على مؤسسة للتعليم العالي مما ترتب عليه هجرة الراغبين منهم في طلب العلم، ولكن كثيراً منهم كانوا يعودون إلى وطنهم، ومعظم هؤلاء كان يقصد مصر والحرمين الشريفين، ومن هؤلاء العلماء المفتي الجزائري أحمد بن عمار، وحمود المقانسي، ومحمد بن العنابي، ولا يخفى أن هجرة هؤلاء العلماء قد أثرت على مستوى الحياة الثقافية في الجزائر.

كما وسمت هذه الفترة من تاريخ الجزائر بانتشار البدع وشيوع حلقات الذكر والأوراد، وتعدد الطرق الصوفية وتطرفها في عقائدها، وقد كان بعضها يعمل بتشجيع واضح من الحكام العثمانيين، ويقول بعض الكتاب أن من يقرأ كتاباً مؤلفة خلال هذا العهد مثل كتاب (البستان) لابن مريم و (منشور الهداية) لابن الفكون و (كعبة الطائفين) لابن سليمان ورحلة الورثيلاني يدرك ما وصلت إليه الحالة العقلية في الجزائر العثمانية^(٢٦). وعلى ما يبدو كان العالم الإسلامي يعيش في عصر الطرق الصوفية وسيادة الزوايا وانتشار نفوذ هؤلاء سواء كان بالمغرب أم في الجزائر كان عاماً وشاملاً في البوادي والحوضر، بحيث صار وصف الناس بالزهد والفقر (بالمعنى الصوفي) والنسك والتبتل من الأهداف الأساسية في الحياة بل أصبح ذلك عملة رائجة في نطاق التعايش. ومن هنا كان التصوف ورجاله واقعاً فعلياً للحياة وصارت الوقائع الاجتماعية مرتبطة بالمبدأ وممارسيه^(٢٧).

- الدراسة:

اخترت رحلة الورثيلاني مثلاً للرحلات الجزائرية إلى الحجاز لأنها تمثل واحدة من الرحلات الكاملة التي وصلتنا، وهي تعبر عن أنموذج لما كتب في القرن الثاني عشر الهجري- الثامن عشر الميلادي حيث أن أغلب الرحلات المكتوبة التي وصلت إلينا مغربية المصدر أو تونسية، وعلى الرغم من قلة الرحلات الجزائرية إلى الحجاز، فإن رحلة الورثيلاني جزائرية المنشأ والولادة وهي تعبر عن حياة وثقافة ذلك العصر في الجزائر إبان الحكم العثماني.

إن ما يميز رحلة الورثيلاني عن غيرها من الرحلات المغربية كون مؤلفها جزائرياً ومن أسرة من أهل الطرق الصوفية تدعى الشرف حيث تربى وتنقف بين الزوايا الصوفية حتى أصبح مرابطاً وشيخ الطريقة الشاذلية كما أسلفنا. كما أن اهتمام الورثيلاني بموضوع الرحلة جاء بعد أن قام بالرحلة إلى الحجاز للحج ثلاث مرات على الأقل كاستاذة العياشي، فقد حج الورثيلاني المرة الأولى سنة ١١٥٣هـ والثانية سنة ١١٦٦هـ والثالثة سنة ١١٧٩هـ، فيجمع أخبار الحجاز في كل هذه الرحلات التي رحل فيها إلى الحجاز، ودون الكتاب بعد الرحلة الأخيرة.

وإذا كانت هناك ثمة ميزة إضافية للورثيلاني فهي اعتماده على مصادر مهمة بعد المشاهدة وتكوين الملاحظات حيث اعتمد على رحلة أبي سالم العياشي

(١٠٣٧/١٠٩٠) هـ ورحلة الدرعي (١١٢٩/١٠٥٧) هـ، والسمهودي، والمقرزي، وابن فرحون، والبكري المتوفى عام (١٠٢٨) هـ، والعبدري الذي حج ٦٨٩ هـ، والسيوطي زوابع رشيد السبتي (٧٢١/٦٥٧) هـ. وكأني به قد جمع فأوعى فأصبح كتاب شاملاً للمعلومات عن الجزائر والمغرب والحجاز في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث لا يجب أن تغفل مساهمات من سبقوه من الرحالة المغاربة السابقين لعصر الورثيلاني إلا أن مساهمة الورثيلاني، لا تنسى في رصد مظاهر التغير الذي طرأ على الحجاز في تلك الفترة كما تصور الحياة الثقافية والفكرية بالإضافة إلى حالة الأمن وضعفه في الحجاز والتي وصفها الورثيلاني في رحلته وكيف انحدرت الأوضاع الأمنية فيه في عهد الأمير مسعود بن سعيد الذي توفي سنة ١١٨٣ هـ. وتأتي الرحلة لتوضيح الحالة السيئة التي يعيشها الحجاز، حيث يصور لنا الورثيلاني كيف أن الأحوال ساءت بين الحجة الأولى والحجة الثالثة^(٢٨)، حيث فقد الأمن والأمان في الحجاز فلم يكن الأمر مقصوراً على ظلم الناس بعضهم لبعض بل أصبح يصدر عن الولاة أيضاً^(٢٩).

كذلك سجلت الرحلة أحوال الجزائر في تلك الفترة التي عاش فيها المؤلف في الجزائر ومدى إغراق الناس في الخرافات والتصوف، ومما يشد الانتباه لقارئ رحلة الورثيلاني ذلك الوصف لما كان يجري في الجزائر من اعتقاد ديني شعبي وصوفي كل ما صورته الرحلة عن مؤلفها نفسه حينما يروي هو نفسه زيارته للنبي سيدي خالد عليه السلام فيقول: "مشينا لزيارة النبي سيدي خالد عليه السلام على القول بنبوته، وقد شهر غير واحد من المتأخرين رسالته بجبل الرس الملقب الآن أبو راس، وكانت معجزته ناراً- ويستطرد الورثيلاني وكانت رسالته قبل رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بمدة قريبة" غير أنه يؤكد على أن رسالته صلى الله عليه وسلم نسخت جميع الرسائل والشرائع^(٣٠).

ويستمر الورثيلاني في الحديث عن الأولياء، واستشهد على محبته لزيارة القبور الخاصة بالأولياء الموجودة ببلاد الزاب، وهذا يدل على اهتمامه بالمقامات والأضرحة التي يمر بها كما لاحظناه في مقدمة الرحلة يؤكد على هذا التصوف، وذكر رجاله حيث ذكر الولي الصالح سيدي أحمد بن عمر سيدي أحمد المرزوق بن المصباح، وسيدي الحسين بن أعراب من بني يرانن، وسيدي أحمد بن باباس

الفلسي، وسيدى أحمد بن عمر التديليسي، وقد ظهرت عليهم آثار الفضل وأنوار الحق مشرقة عليهم^(٣١). وذكر الوريثاني كذلك حين وصوله إلى بجاية ودخوله إليها لزيارة المقابر والأضرحة ثم خروجه إلى تلمسان لزيارة خلوة الشيخ أبي مدين الغوث وقبره في تلمسان حيث سكن بجاية في القرن السادس الهجري حتى سعى به بعض الحساد إلى أمير مراكش، فذهب إلى تلمسان وتوفى هناك^(٣٢).

والملاحظ أن ذكر الوريثاني لزيارة الأولياء والصالحين لا يعتمد فيها على معاصريه بل ترجع تلك المعلومات إلى مصادر مثل صاحب كتاب عنوان الدراية أو إلى مصادر أخرى^(٣٣).

كذلك استعرض الوريثاني تراجم العلماء والأولياء حين أتى على ذكرهم ضمن أولياء القرن العاشر الهجري مثل "من أكابر الأولياء سيدى محمد أمقران، سيدى عبد الرحمن الصباغ وهو من القرن العاشر"^(٣٤). وكان الوريثاني قد أشار فى المقدمة حينما قال: "أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادى ويستحسنها الشادى فإنها تزدهو بمحاسنها على كثير من كتب الأخبار بينما فيه بعض الأحكام الغربية والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من التصوف بما فتح الله به على أو منقولاً من الكتب المعتمدة"^(٣٥).

- مصادر الرحلة وأسلوب المؤلف ومنهجه:

اقتبس الوريثاني من مصادر عديدة سواء ما يتعلق بالحجاز أو ما يتعلق بالجزائر والمغرب وتونس وطرابلس وغيرها من المناطق التي مر عليها ركب رحلته، غير أن اقتباساته كانت كثيرة من رحلات من سبقوه مثل رحلة أحمد بن محمد ناصر الدرعى (الرحلة الناصرية) ورحلة أبى سالم العياشى (مائدة الموائد) فأحياناً كان يشير إلى تلك الاقتباسات بتحديد مواضعها، وأحياناً لا يذكر، فمثلاً ذكره مرة قائلاً: قال شيخ شيوخنا سيدى أحمد بن ناصر ...^(٣٦) ثم يسرد اقتباساته. أو يقول "وكما ورد فى المدخل لابن الحاج" أو غير ذلك من كتب الفقه أو كتب التصوف. وفى التاريخ الميلادى حينما قال (ضحى الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب والعشرين من شتنبر) ولم يذكر السنة^(٣٧) ثم يتكلم عن نزوله إلى ضريح عقبة بن نافع الفهري، وسرد لنا قصة اختيار موقع مدينة القيروان وهنا اقتبس الوريثاني من الرحلة الناصرية للدرعى. والناصرى هو الشيخ

أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (١٠٦٩/١١٢٩هـ) وقد قام برحلته للحجاز للحج، فخرج من الزاوية الناصرية في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ١١٢١هـ وعاد إليها في الخامس من رمضان سنة ١١٢٢هـ. وتعتبر هذه الرحلة من أوسع الرحلات إن لم تكن أوسعها وأشملها. وتقع في جزئين، وطبعت في مدينة فاس طباعة حجرية في سنة ١٣٢٠هـ في أربعمئة واثنين وأربعين صفحة بخط مغربي دقيق ولقد نقل الورثيلاني عن العياشي فأكثر، كما نقل محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصري الدرعي المتوفى سنة ١٢٣٩هـ عن هذه الرحلة فأكثر.

ومن الواضح أن اهتمام الورثيلاني في مصادره اعتمد على مؤلفات كان معظم أصحابها من المتصوفة فكان الناصري (أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي) متصوفاً من درعة وهي بلدة تقع غرب مدينة مراكش وبها تقع بلدة تمكروت التي تقع فيها (الزاوية الناصرية) ذات الأثر العظيم في نشر الثقافة الإسلامية، في تلك الجهات من المغرب وفي أفريقية بصفة عامة وكانت مركزاً من مراكز العلم في المغرب كما تعتبر أحسن زوايا المغرب. ويوصف أهلها بأنهم المتقدمون بعمل أهل المدينة ومكة المتمسكون بالسنة ومن علماء تلك الزاوية في العصور الأخيرة محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الناصري، وهو من بيت مشهور فعمه الشيخ يوسف بن محمد بن عبد السلام المذكور نشأ نشأة صوفية، إلا أن صلته بكبار علماء الحديث في عصره مكنته من أن يتجه لهذا العلم حتى عُذ من المحدثين الواسعي الاطلاع بل نراه في كثير من الأمور يتخذ من الحديث منهجاً يسير عليه، وحجة يبطل بها آراء معارضيه في عصر طغى فيه الجمود الفكري، وانتشرت فيه البدع والخرافات^(٢٨).

كذلك كانت اقتباسات الورثيلاني في رحلته المذكورة من رحلة العياشي "مائدة الموائد" حيث اشتهرت رحلة العياشي كثيراً فالعياشي هو أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي نسبة إلى قبيلة ابن عياش وهي قبيلة من البربر تقع جنوبى شرق المغرب (١٠٣٧/١٠٩٠) هـ كان متصوفاً، وينتمى العياشي إلى أصل عربى فهو علوى ينتمى بنسبه إلى الأدارسة، وكان يعرف بعفيف الدين المالكي. وقد قضى العياشي أكثر عمره في الزاوية العياشية، هذه الزاوية تنسب إلى والده محمد بن محمد بن أبى بكر العياشي الذى أسسها عام ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م إشارة من شيخه محمد بن أبى بكر الدلائي^(٢٩).

وكان أبو سالم متمسكاً بالزهد والورع جانحاً إلى الطريقة الصوفية له اتباع وشهرة في المناطق المحيطة بزاويته، وكان في غاية الجد والاجتهاد في ضبط أوقاته الضبط الذي طوّل به أهل العلم مع ما عرف به من لين وعطف وسخاء ونصيحة.

اعتمد الورثياني كثيراً منذ بداية الرحلة على صاحب الناصرية وكأنه سار على طريقه، فيستشهد به حين خروجه من الزاب إلى بسكره بالجزائر، ثم حين خروجه من بسكره ونزوله على ضريح عقبة بن نافع الفهري كذلك اقتبس الورثياني من الرحلة الناصرية قصة فتح عقبة بن نافع أفريقية هو والقواد الآخرون أمثال أبو المهاجر دينار وحسان بن النعمان في غزوتهم ضد القائد والزعيم البربري كسيلة بن المزم والكاهنة ... إلخ^(٤٠).

وذكر الورثياني أخباراً عن حجته السابقة في عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف^(٤١) وعاود الاقتباس من الرحلة الناصرية في حديثه عن مدينة تورز وبلاد الجريد وهما في نواحي تونس ثم خروجه إلى قابس ووصله إلى طرابلس^(٤٢).

وفى تفسير معنى طرابلس بالعجمية يقتبس من الرحلة الناصرية وحينما يصفها وصفاً جغرافياً، ويورد قصة فتح طرابلس على يد عمرو بن العاص سنة ثلاث وعشرون للهجرة وأخبارها.

ويذكر الورثياني نقلاً عن الدرعي في الرحلة الناصرية أن من عادة الركب إذا نزل مدينة طرابلس أن يقيم بها نحواً من شهر ليستعدوا لدخول مغارة برقه^(٤٣) ولم يذكر الورثياني ما إذا كان قد حج مع ركب المغربى أو الركب الجزائري أو غيره لأن ما يعرف بالركب هو تنظيم ديني عرف ببلاد المغرب منذ القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى أواسط عهد الموحدين على يد الإمام أبي محمد صالح الماجرى فقد كان من أهم أركان طريقته الدعوة لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم، وجعل من أصحابه جمعية تبشيرية تدعو لتلك الغاية، وتعددت رحلات الحج المغربى فعرف الركب السجلماسى والركب المراكشى والركب الشنقيطى والركب البحرى^(٤٤).

كذلك لم يذكر أى الطرق سلك وإنما انشغل بالاقتباسات فيما يتعلق بالرحلات السابقة كالعبرى أو رحلة الناصرى الدرعى، أو رحلة العياشى. غير أن الورثياني يذكر ذلك في موقع لاحق في حديث له عن الركب المغربى^(٤٥)، وتظهر أهمية كتابه

الرحلة حينما يشير الوريثلاني في محاولة منه لتدوين ما يتعلق برحلاته الثلاث في المواضيع المناسبة، فنراه يذكر ما سمعه: "من الشيخ سيدي محمد بن مساهل سنة أربع وستين في الرحلة التي قبل هذه ... " ويشير في موضع آخر لاقتباس من رحلة أحمد بن ناصر: "ومن رحلتنا للحرمين الشريفين سنة ست وتسعين وألف ... " أي أن الوريثلاني ضمن ملاحظه واقتباساته ومشاهداته وسماعه بعد رحلاته الثلاث في مدونة واحدة، وهذا ما يبرز ضخامة حجم هذه الرحلة.

ويصف بعض الأحداث التاريخية حينما يصف ما تعرضت له مدينة طرابلس للقصف بالمدافع من البحر وهو كشاهد على الحادث في أيامه يصبح كمصدر للتاريخ عن الأحداث التي يراها ويدونها، ويبدو من وصف الوريثلاني أن ذلك القصف الشديد لم يؤد إلى تسليم المدينة الذي كان واليها التركي عاجزاً عن الدفاع عنها^(٤٦).

ويتعرض الوريثلاني للحديث عن أضرحة الأولياء والزوايا في مدينة طرابلس ونجده لذلك يقتبس من الرحلة الناصرية^(٤٧). كما يتعرض لموضوع السماع للأغاني وإنشاد الألحان والأشعار وهو الصوفي الذي يطرب للأمداح النبوية والأنكار ويستشهد بأقوال إمام الطريقة الجنيدي، وأقوال الإمام أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس زروق وأبي العباس المرسى والإمام محي الدين بن العربي وكل هؤلاء من مشائخ المتصوفة لا يحضون على السماع^(٤٨). ويستمر الوريثلاني في حديثه عن الرحلة دون أن يذكر أنه حج مع الركب الجزائري ولا يعلن عن ذلك إلا في مكان لاحق غير أنه أشار عرضاً إلى استخدام سفينة لنقل الزاد وإرسال مجموعة كبيرة من أصحابه في هذه السفينة من طرابلس ليبيا إلى الإسكندرية بينما كان الركب متجهاً إلى تاجوراء. وكان من عادة السفن في تلك المدينة أن تتأخر إلى آخر رمضان فربما عاقهم ذلك عن الحج، غير أن الوريثلاني طلب من صاحب الولاية سيدي علي باشا الإسراع بترحيلها حتى يتمكن الحاج من الوصول إلى الإسكندرية دون تأخير. حيث كان في استقبالهم الحاج أبي القاسم القراوى صاحب ولاية طرابلس^(٤٩).

وبعد نزول الوريثلاني (أبا كديه) قبالة تورغا والتي تقع في الطريق قبل الدخول إلى برقة في منطقة السبخة كما قال الوريثلاني نزلنا الزعفران ثم مررنا على (معطن الأحمر) تلاقى الركب مع الركب الفاسي والفيلاي في هذا الموضع^(٥٠).

والطريف في الأمر جاء ذكر أن الركب الجزائري الذي حج معه الوريثلاني

كان يضم طلاب علم وهو ما عبر عنه الوريثاني في أثناء حديثه عن النزاع الذي قام بين الطلبة حول مسألة فقهية^(٥١).

الملاحظ أن الوريثاني يعمد إلى وصف الطريق والآبار والمياه والمدن من خلال مشاهداته ثم يورد ما كتبه ابن ناصر، أو العياشي أما إذا كان في الأمر شيء من أمور الفقه فإنه يرجعه إلى أهل الفقه كما ورد في الرحلة صفحة ٢٢٦ في موضوع يغفر الله لأهل عرفة ثم يشير إلى البكري في تعريفه لكلمة أو اسم برقة صفحة ٢٢٠ ويشير إلى ما كتبه العياشي^(٥٢).

يوضح لنا الوريثاني في مقارنة بين ركب الحج الجزائري والفاسي يقول:-
(عدد الأيام من سيدى أحمد زروق على الاحتياط إلى مصر بحسب مشينا
الجزائري لا الفاسي فإنه أسرع في المشى لتأخره) ثم يعدد المسافات بين الأماكن
التي مر عليها من سيدى أحمد زروق إلى زعفران خمسة أيام ومنه إلى النعم
يومان ومنه إلى المنعم خمسة أيام أو صحة السادس ومنه إلى أجدابية ثلاثة أيام
غير أن الثالث وصلناه عند الظهر ومنه إلى سلوك ... إلخ^(٥٣).

وحيثما أشرف الراكب على الدخول إلى مصر وصف ما بها وأثارها كذلك
أخذ يتعرض الوريثاني لتراجم علماء مصر. أمثال أبي العباس أحمد بن أحمد ابن
سلامة المصري القليوبي. الشيخ موسى المصري القليوبي^(٥٤).

يصور لنا الوريثاني خروج الكسوة بين دار الصنعة ويصف ذلك الموكب
المصاحب لها، ثم يقتبس من رحلة العياشي ذلك الموكب والاحتفالات التي تحدث في
مثل هذه المناسبة^(٥٥). ويبدو أن الوريثاني تأثر بمنظر كثرة المساجد بمصر وعظمة
بنائها والاهتمام بعمرانها وصيانتها وتزيينها، عكس ما وجد ببلاد المغرب بصفة عامة
حيث يقول: (وأما أهل مغربنا فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجداً عظيماً قد أحدث بل
ولا مهتماً قد جدد أو هيا قد أصلح بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم، فأحسن
أحوالهم فيه إن بنياناً برخام أن يعاد بأجر وجص وإن كان مجصصاً أن يعاد بطين
بحيث تجد المسجد كأنه مرقعة فقير هندي فيه من كل لون رقعة وإلى الله المشتكى).

وكان الوريثاني يميل إلى رأى ابن خلدون في أن المدن والأمصار بأفريقيا
والمغرب قليلة، السبب في ذلك لأن الأقطار كانت للبربر وكان عمراتها كله بدوياً
ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها ... والصنائع بعيدة عن البربر

لأنهم أعرق في البدو، والصنائع من توابع الحضارة ... إلخ^(٥٦).

وحينما دخل الوريثاني مصر بدأ في شرح أماكن الزيارة لأضرحة الأئمة والأولياء ابتداءً من الإمام الشافعي، وضريح السيدة نفيسة ... إلخ^(٥٧).

ثم تكلم الوريثاني مرة أخرى عن ظلم الركب الجزائري للناس وعلى ما فيه من الهرج وقال: (إن شيخ الركب ليس إلا مساعد الناس عليه من ظلم وغيره ... إلخ). فاراد الوريثاني مع بعض مرافقيه التخلي عن مرافقة ركب الحج الجزائري، والسفر مع ركب الحج المصري^(٥٨) غير أنه غير رأيه وترك الركب المصري حينما علم أن سلطان فزان موجود في مصر فعرض الوريثاني عليه الأمر فوافق، غير أن الأمر اختلف حين اختلط ركب الجزائر مع ركب سلطان فزان^(٥٩). حينما ارتحلوا إلى البركة، وعلى ما يبدو أن هناك تنظيمًا للركب الجزائري حيث اشتمل على أهل الجزائر وقسطنطينية ثم أهل بسكرة وأهل مدكال وأهل المسيلة وأهل الصحراء، وأهل الزاب. وكانوا جميعاً مع الشيخ سيدي محمد المسعود ومجموعة أخرى انضم إليها الوريثاني وهم يتبعون سيدي أحمد الطيب وسيدي أحمد بن حمود وسيدي محمد الشريف وعلى ما يبدو كان هؤلاء فقهاء الركب. ويفيض الوريثاني كثيراً في سرد قصة الفوضى التي حدثت في الركب المصري بين الشيال والحجاج فيقول الوريثاني: (غير أن الله منعني من الإقامة في مصر لما كان من الهرج والفتنة والنزاع بين الحجاج والشيال لأن من دخل بولاق من الحجاج ربطوه وحبسوه ومن دخل منهم الركب ربطه الحجاج، فوقع هول وعظم وجميع الفضلاء يجري بين الجميع بالصلح حتى خفنا على أنفسنا من كثرة الظلم الواقع من الجانبين غير أن الحجاج مظلومون بالنسبة للمال إذا أقرضوهم في الطريق فأكلوهم وأرادوا الزيادة منهم، وأما الحجاج فقد ظلموهم بالضرب في الطريق والشتم وكل عمل قدروا عليه فانتقم الله من الجميع رزق الله الكل التوبة والندم على ما صدر من الجميع بمنه وكرمه^(٦٠)).

ويوضح الوريثاني منهجه في كتابه في هذا الموضع حينما يقول بعد زيارته لعلماء مصر وأوليائها ويقول: (وبالجملة فالذي زرناه في تلك المدة لا يزار إلا في أيام عديدة ومع ذلك وجدنا حلاوة ما وجدناها في غيرها من الزيارات، فإني قد جبلت على حبها من صغري وقد كثرت مني غرباً وشرقاً وجنوباً وقبلاً بمعنى

وجودها بين الأحياء والأموات فمهما ذكر لى ولّى صالح أو عالم حيا أو ميتا إلا ذهبت إليه واقتبست من نوره ولا سيما عمالة الجزائر فإننى قد خضتها ^(١١). وبحثت عن أهلها بحثا شديدا تاريخا وسيرة وطريقة وحالا وكرامة لما رأينا من وقوع الإهمال فى ذلك فى وطننا فرسمنا كل ذلك رسما جيدا فحفظت وصف أسلافه ونقلنا من كل فرع ريحانه لما يجده المتأخر بعدنا ورحمة لما يحصل له من اقتباس الأنوار فى وطننا فما تركت من جهدى شيئا ولا فى استطاعتى أمرا إلا حاولته فى التفتيش عنهم والاستقصاء بالطلب والفصل فى آثارهم لا سيما أهل بجاية فإنها مدينة عظيمة يكاد زيتها يضيء من علم أهلها وقوة أحوالهم وأنوار مواجدهم ومن أراد استقصاء أخبارهم فليطالع عنوان الدراية للغبرنى ورياض الصالحين للثعالبي وغيرها ... ^(١٢) ويذكر المشايخ الذين تلقى عليهم العلم والذين أجازوه فى مصر ^(١٣).

ثم يعود للاقتباس من رحلة الشيخ أحمد بن ناصر عند الحديث عن "عجروود" ^(١٤). كذلك يشير إلى اقتباس من رحلة الشيخ أبى سالم العياشى، بالإضافة إلى ما أورده المقرئى حول مدينة السويس ^(١٥).

والملاحظ فى أسلوب الورثيلانى حينما اقتبس من أبى سالم العياشى من رسالة اعتمد عليها العياشى للشيخ البكرى يذكر فيها منازل الحج والزيارة لذا يعتمد الورثيلانى إلى ذكر أقوال العياشى فى هذا الموضوع انطلاقا من ما قبل "عجروود" وبسركة الحج. ويسهب فى السرد عن اقتباس أبى سالم العياشى من رسالة الشيخ زين العابدين البكرى الذى ذكر فيها منازل الحج ودياره ذهابا وإيابا وحقق قدر ما فى كل مرحلة من الساعات والدرج والدقائق وصعوبتها وسهولتها. وهنا يوضح العياشى أسلوبه فى اقتباسه من البكرى بأنه اختصر ذكر المنازل التى أوردها البكرى حيث ذكر تلك المراحل التى فيها البنادر لأنها فى الغالب متفقة فإذا جاء ذكر بندر من البنادر ذكرت من كلامه ما يتعلق بالمراحل التى قبله ليكون ذلك أسهل لمطالعته وأبقى لرونق كلامه من التقطيع وكثير التوزيع ^(١٦).

واستمر الورثيلانى فى وصف وصول الركب إلى بندر عجروود -السبخة مغيربان- وادى الرمل حيث أدركه الركب التونسى الذى خرج من مصر قبل الركب الجزائرى- وادى السدرة والخروبة ^(١٧).

(ثم ارتحلنا من هناك يوم الأحد رابع ذى القعدة الخامس والعشرين من دجنبر

الرابع عشر من الليالى) -العقبة- أرض النّيه- بندر النخيل وأدركوا الركب التونسي هناك والركب المصرى (٦٨).

وعلى ما يبدو أن الحجاج المغاربة كانوا يقصدون مصر فى ركبهم البرى سواء كانوا من المغرب الأقصى أو تونس أو الجزائر أو ليبيا أو غيرهم ليسيروا مع ركب الحج المصرى وهذا ما أكدّه الورثيلانى (٦٩)، كما أن قصائد مغربية قيلت لتؤكد هذا الموضوع حيث يقول الشاعر (٧٠):

يا ركب مصر رويدا يلتحق بكم قوم معاربة لحم على وضم
فيهم عبيد تشوق العين زفرته لم يلق مولاه قد ناداه فى القسم

يصور لنا الورثيلانى مقتبساً من العياشى كيف أن سفر الفلاحين المصريين مع الركب الجزائرى أو الركب المغربى يسبب إزعاجاً للركب حيث يكثر ضجيجهم وخصوصاتهم. غير أن الفلاحين نقص عددهم فى الركب الجزائرى فى هذه الرحلة فهذات الأحوال (٧١).

ثم يذكر المراحل التى مر عليها وادى المنصرف- وادى القباب- وادى النّيه- نخل الحصينة- بئر الصعاليك- سطح العقبة ونزولهم للراحة وكان معهم سلطان فزان، والتحق بهم فى العقبة الركب المصرى وهذه السنة المذكورة كان الركب الجزائرى قوياً يحمل الأسلحة وأعداده كبيرة لذا فقد سبقته سمعته الآفاق ولم يتعرض لأى أذى وكان الركب المصرى يخاف من الركب الجزائرى لقوته (٧٢). لأن أمير الركب المصرى اعتاد فى السابق أن يتحكم فى الركب المغربى ويفعل به ما يشاء إن شاء قدمه وإن شاء أخره، وإن شاء زاد فى الكراء عليه وغير ذلك من الظلم (٧٣). ويؤكد ذلك الورثيلانى أثناء حديثه عن الركب الجزائرى بعد الحج حين نزل الركب الجزائرى مع الركب المصرى وكان أمير الحاج المصرى حسين باى مملوك باى أراد هذا الأمير أن يتخلف الركب المغربى وراء المصرى. قهراً إذ العادة السابقة أن الركب المغربى يتخلف فى الطلعة وفى الرجعة يسبق. غير أن هذه المرة أراد الركب المصرى الذى تقوى وكثر فيه الظلم من الجند وضعف الركب المغربى جعلوه وراءهم ذهاباً وإياباً، فاجتمع رأى جميع الركب الفيلالى والجزائرى والطرابلسى لا سيما أن سلطان فزان هو الذى قدم بنفسه، فاتفق أمرهم على التقدم بل تعاهد الجميع على ذلك، غير أن الركب الفزانى تأخر فى مكة وكذا

الفيلالى فلم يسبق إلا الركب الجزائرى غير أنه قوى لو اتفقت كلمته إلا أنه وقع فيه النزاع لأن الشيخ سيدى محمد المسعود نجل الشيخ محمد الحاج لين العريكة يترك الناس على هواهم فلما حان وقت الظهر وإذا بالناس ارتجلوا خوفاً من سبق المصرى لأن أمير الركب المصرى يبعث الرسل ويقول بالذهاب جميعاً إلى منزل الينبع لذا فقد تحرك الركب الجزائرى ولم يرض إلا بالسيف ولو أدى ذلك إلى الفتنة العظيمة بين المسلمين^(٧٤) إلا أن الورثيلانى لحق بالركب الفزانى وسار معه حتى وصلوا جميعاً إلى الينبع، ومنها انطلقوا إلى المدينة المنورة.

ويورد الورثيلانى اقتباساً من سيدى أحمد بن ناصر الدرعى^(٧٥) حول الموضوع ويورد كذلك اقتباساً من الخطط للمقرىزى حول مدينة إيلا^(٧٦) وفي العقبة زار الورثيلانى قبر الشيخ إبراهيم اللقانى^(٧٧). ثم مر الركب الجزائرى على الشرفات عش الغراب ثم مقابر سيدنا شعيب- وعيون القصب والمويلح^(٧٨) ثم وادى الأراك ثم إلى الوجه.

ثم العقبة السوداء وتقع فى حرة سوداء. ويقال أنها أول الحجاز وبعدها الحوراء. حتى وادى العقيق ثم إلى الينبع^(٧٩).

ومنها إلى بدر ثم إلى رابغ وخليص وعسفان^(٨٠) وحينما ينتهى من اقتباساته السابقة. وأخذ يدون ما شاهده بعبارة (انعطاف)^(٨١) ويستمر فى ذكر المناطق والمراحل التى قربها دون اختلاف عن ما ورد فى اقتباساته السابقة، غير أنه أضاف حينما بلغ الركب الجزائرى إلى ينبع النخل بين الظهر والعصر وجد الركب المصرى نازلاً هناك فنزل الركب الفلالى (المغربى) والجزائرى والركب الفزانى إلى جواره.

وعلى ما يبدو تأثر الورثيلانى من جماعته الجزائريين حينما حصل له غيظ من ظلم الحجاج بعضهم البعض فأقسم بالله ألا يبيت معهم فرحل مع الركب المصرى هو وبعض أصحابه، ووصل الركب المصرى إلى بدر^(٨٢) قبل الركب الجزائرى. وبعد جلوس الركب الجزائرى والمصرى ارتحلوا إلى مستورة ومنها إلى رابغ^(٨٣) ومنها إلى قديد ثم خليص^(٨٤) ثم عسفان ثم وادى فاطمة^(٨٥) ثم إلى مكة المكرمة. تكلم الورثيلانى منذ دخوله مكة المشرقة عن ما يجب على الحاج فعله من طواف الإفاضة (طواف القدوم) والسعى إلى المبيت فى منى يوم التروية والوقوف بعرفات ورمى الجمرات وما إلى ذلك من مشاعر الحج^(٨٦).

وفى مكة ابتدأ الورثيلاني بزيارة قبر السيدة ميمونة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ثم وصل إلى التتعيم وفيه مسجد لعائشة رضى الله عنها ^(٨٧) ودخل مكة من باب المعلى.

وإذا ما عرفنا المراحل المستخدمة فى الطريق فى أيام الورثيلاني أو من قبله من الذين قاموا باستخدام الطريق نفسه أمثال الرحالة السراج (ابن مليح) الذى كان قد ابتدأ رحلته آخر شهر صفر سنة ١٠٤٠هـ قبل حوالى قرن من رحلة الورثيلاني من مراكش ثم رحل إلى أغمات وريله وبلاد وارزازات ودرعة وصحراء أزكر ثم بلاد فزان ثم واحة سيوة ثم استخدم النيل للوصول إلى القاهرة وكان ذلك يوم الجمعة الثالث عشر من شوال سنة ١٠٤١هـ. وصف القاهرة ومساجدها وما بها من أضرحة ووصف أهراماتها ووصف خروج الركب منها ابتداء من البركة موضع اجتماع الركبان ثم إلى الدار الحمراء ثم لقصة عجروود للنزول بالماء ثم لواد الرمل. ثم لمنزل بعل ثم لواد الخروبة ثم لقصة النخيل ثم لبئر العلية فى وسط التيه ثم لسطح العقبة الكبرى وهى التى تسمى عقبة أيلة. ثم لقصبتها وبها ملقى الركبان من أرض الشام وغزة ^(٨٨) ثم لمورد يعرف بموية المعيز على شاطئ بحر السويس. ثم لأم العظام وهى صحراء ثم لمقابر سيدنا شعيب، ثم لمورد يعرف بعيون القصب ثم لقصة المويلح على شاطئ البحر ووصفها بأنها ثغر من الثغور ترسو به القوارب، ثم لموضع صحراء يعرف بشق العجوز ثم لقصة الأزل ثم لبئر عنتر ثم لقصة الوجه ثم لموضع صحراء يقال لها بين الدركين ثم لماء الحورة ثم لعقبة السوداء برأس واد، ومنها لماء النبط، ثم لسبع وعرات من جبال رواسى برأس واد النار، ثم للينبوع ثم لدار الوقدة موضع صحراء سميت بذلك، ثم لبدر، ثم لسبيل السلطان ثم لرابغ وهى واد وهوميقات أهل مصر، والمغاربة على خلاف فى ذلك وهو قبل الجحفة وينبغى للحاج إذا اغتسل برابغ أن يؤخر الإحرام إلى الجحفة فيحرم منها فتحصل السنة والمستحب، ثم خليص ثم لعقبة السكر وهى صحراء ثم لبئر عسفان ثم لواد الشريف أو وادى فاطمة ثم إلى مكة المكرمة ^(٨٩).

وعلى ما يبدو فإذا اختلفت بداية خروج أفواج الحجيج من بلاد المغرب إلا أنها تلتقى فى مصر أو فى الطريق إلى مصر لكى تسير متجاوزة ومجمعة فى بعض الأحيان للوصول إلى الحجاز.

ذكر الأماكن الأثرية والتاريخية الإسلامية في الحجاز كما وردت في رحلة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار

كانت الآثار الإسلامية كالمساجد الأثرية والآبار وغيرها من الأهمية بمكان حيث اهتم بذكرها الرحالة المغاربة قبل الورثياني وبعده من الرحالة، وكذلك فقد ذكرت أسماء عديدة ومهمة لأماكن كانت قد شهدت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة، كذلك ذكرت بعض الأماكن الأثرية في مدينة جدة. وحيث أن بعض الآثار الإسلامية العديدة قد اندثرت وأصبحت غير واضحة المعالم الآن ولا يعرف مكانها لذا فسأحاول رصدها من خلال النصوص التي وردت في الرحلة المذكورة لأهميتها بالآثار والتاريخ والسياحة الإسلامية وللاستفادة من هذه النصوص للتعرف على المواقع الأثرية والسياحية بعد أن مر عليها وذكرها الرحالة المغاربة كالعياشي والحسين الورثياني قبل أكثر من مائتين وخمس وأربعين عاماً تقريباً وحيث أن استخلاص النصوص وتحقيقها ونشرها لا يقل أهمية عن تحقيق ونشر النصوص المتكاملة، وهكذا فإن الاختصار على استخلاص النصوص التي تعالج فترة القرن الثاني عشر مثلاً أو موضوعاً كالأماكن المقدسة في كل من الحرمين الشريفين ليس نهجاً جديداً، ولكنه أسلوب لجأ إليه الكثيرون في نشر أجزاء محددة نشرها منفصلاً أو ملحقاً بغيره لاستكمال نصوص أخرى في نفس الموضوع لذا سيحتاج الأمر إلى دراسة مفصلة أكثر من هذه العجالة، يقول الورثياني:

- ذكر المشاهد التي ينبغي للحاج أن يزورها بمكة شرفها الله:

منها الدار التي ولد فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واختلاف الآراء في مكان ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم هل هو بمكة، أو بالأبواء، وعلى أنه بمكة فقليل في الشعب وقيل في المحصب^(٩٠). ثم البيت الذي سكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السيدة خديجة رضى الله عنهما وولدت فيه الأولاد وفيه توفيت. ثم دار أبي بكر الصديق رضى الله عنه، ودار الخيزران عند الصفا^(٩١).

ومسجد البيعة الذي بويع فيه رسول الله، ومسجد إبراهيم بعرفة وهو غير الذي يصلى فيه الإمام، ومسجد الكبش بمنى الذي نزل فيه فداء إسماعيل عليه السلام. ومسجد بأجباد يقال له المتكا قيل أن النبي صلى الله عليه وسلم اتكا هناك،

ومسجد العقبة حيث بايع الأنصار، مسجد الجن وهو بأعلى مكة. وشعب أبي طالب الذى لجأ إليه هو وبنو هاشم. وجبل أبى قبيس، ثم غار جبل ثور الذى اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه (٩٢).

جبل حراء وفيه الغار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه قبل النبوة وفيه نزل الوحي أول ما نزل، وفيه نزلت سورة اقرأ كما فى الصحيح، وهو جبل متوحد بأعلى بمكة (٩٣).

الجعرانة، وهو موضع بين مكة والطائف وهى إلى مكة أقرب بكثير (٩٤). دار الأرقم، التى اختفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها كان إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهى الآن مسجد بقرب الصفا (٩٥). أما المقابر فالحجون كله مزارات وأشهر المزارات فيه قبة أم المؤمنين السيدة خديجة (٩٦).

المودع (المدعة) موضع بسوق مكة يقال أن فيه ودع النبى صلى الله عليه وسلم أهل مكة فى حجة الوداع لما أراد الخروج إلى المدينة، وهو مكان مشرف تظهر منه بعض أستار الكعبة، وليس فى أسواق مكة محل تظهر منه الكعبة إلا هذا.

جبل أبى قبيس يشرف منه على مكة كلها والمسجد والبيت وفيه مغارة يقال أن بها قبر آدم عليه السلام (٩٧).

كدى الكاف وهو الموضع الذى خرج منه النبى صلى الله عليه وسلم. وهو باب الشبيكة. وذكر ابن رشيد فى رحلته عن بعض الأئمة أن الخروج إلى عرفات من الثنية السفلى أيضا. فروى عن الحافظ أبى محمد على بن أحمد الأندلسى قال: "كداء الممدودة هى بأعلى مكة عند المحصب حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذى طوى إليها أى صعد إليها.

وكدى بالضم والتوين بأسفل مكة عند ذى طوى بالقرب من شعب الشائعين (٩٨) والشعب كسر الشين.

عسفان (٩٩).

مستورة (١٠٠).

ينبع: مسجد العشيرة المعدود من المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم. ذكره السيد السهمودي، وهو مسجد القرية الذي ينزلها الحاج المصري، ولابن زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد الينبع بعين بولا (١٠١).

يذكر الورثيلاني أن ينبع هي أول بلاد الحجاز لركب الحجاج القادمين. والقرية التي ينزل بها الركب هي آخر القرى من ناحية البحر، وليس بعدها إلا ينبع البحر الذي هو المرسى، وغالب أهل القرى يأتون إلى هذه القرية التي ينزل بها الحاج للتسوق. ومن ينبع البحر تجلب الميرة للمدينة المشرفة لأن السفن الجالبة للطعام ما كان منها للمدينة يرسى بينبع البحر، وما كان منها لمكة يتجاوز إلى جدة. وإذا وصل الطعام إلى ينبع حمل منها إلى المدينة تحمله أعراب تلك الناحية من بني سالم وجهينه ويتداركون بالطريق من هناك للمدينة (١٠٢).

بدر: وتقع في طريق المدينة المنورة بعد الخروج من ينبع، وبها (دار الوقدة) لأنهم يوقدون فيه الشمع الكثير يستصعبه الناس من مصر لذلك ويبيعونه في الركب ويجعلونه على اقتاب الجمال بالليل فترى الركب كله كأنه من أعظم المساجد المسرجة مصابيحها في أحد المواسم (١٠٣).

- المساجد التي تزار بالمدينة لنسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم:

أكبر المساجد وأكثرها أهمية المسجد النبوي، لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه "من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تقوته صلاة كتب له براءة من النار وبرائة من العذاب وبرئ من النفاق" (١٠٤). ثم مسجد قباء، ومسجد الضرار التي فيها بئر أريس، مسجد الفضيل. مسجد بنى قريظة قرب الحرة الشرقية. مسجد مشربة أم إبراهيم نسبة لابن مارية، ولدت سيدنا إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم فيها، وفيها مسجد بنى ظفر من الأوس شرق البقيع بطرف الحرة الشرقية، يعرف باسم مسجد البغلة (في زمن الورثيلاني) (١٠٥).

مسجد الإجابة، وهو لبنى معاوية بن مالك من الأوس وهو شمالي البقيع، مسجد الفتح والمساجد التي في قبلته وتعرف كلها في زمن الورثيلاني بمساجد الفتح، ويقال له أيضاً مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى (١٠٦).

مسجد القبليتين وهو (غرب بطحان وطلع قريب من العقيق)، مسجد السقيا (بالحرّة الغربيّة، ويقع على يسار الذهاب إلى المدينة من العقيق على طريق الحاج). مسجد الراية (بالقرب من جبل ذباب) قريب من سلع شرقية قريب من ثنية الوداع، على يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام^(١٠٧).

ومن المشاهد التي زرتها بالمدينة المنورة مقبرة المدينة، فمقبرة المدينة لا مقبرة على وجه الأرض أشرف منها بالإجماع وقد روى عن الإمام مالك رضى الله عنه أنه قال: دفن بالمدينة أكثر من عشرة آلاف من الصحابة، وبها شهداء أحد وليس في غزواته صلى الله عليه وسلم أكثر من هذه الغزوة شهداء، وبها شهداء الخندق، وبها شهداء الحرّة^(١٠٨).

وفى البقيع دفنت صفيّة بنت عبد المطلب عمّة النبي صلى الله عليه وسلم وزين العابدين، ومحمد الباقر وجعفر الصادق وكثير من أهل البيت أمثال السيد إسماعيل، والعباس، والحسين بن علي والسيدة فاطمة الزهراء وعقيل ابن أبي طالب وكل أمهات المؤمنين ماعدا السيدة خديجة وميمونة. وسيدنا إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر عثمان بن مظعون وسعد بن أبي وقاص رضى الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنه وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه^(١٠٩).

ومن المشاهد التي تزار بالمدينة، ليست في البقيع، ثلاث أحدهما مشهد مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى وهو من شهداء أحد رضى الله عنهم ومشهده غرب المدينة، ومشهد ذى النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين. وثالثهما مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وهو بأحد. وكانت هذه المشاهد معروفة بالمدينة زمن الورثياني^(١١٠).

كان الورثياني يميل إلى آل البيت ولا يميل إلى الروافض الذي قابل بعضهم فى المدينة المنورة عند مقبرة البقيع، وإنما يعتقد بأفضلية آل البيت وقد كتب الورثياني حينما رأى مجموعات كبيرة من الشيعة تلتصق بجدار البقيع فى المدينة المنورة أثناء زيارتهم فى القصة التى رواها عن القباب الموجودة فى البقيع زمن زيارته للمدينة المنورة^(١١١).

- جبل أحد وما به أو بطريقة من المساجد النبوية:

زيارة أحد والشهداء به من السنن المأثورة ففي صحيح البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم، صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، وفي حديث أبى داود خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة راقم فلما تدلينا منها فإذا قبور فقلنا: يا رسول الله أقبور إخواننا هذه، قال قبور أصحابنا، فلما جئنا قبور الشهداء قال هذه قبور إخواننا (١١٢).

وفضل جبل أحد على الجملة معلوم مشهود فقد قال عليه الصلاة والسلام "إنه يحبنا ونحبه" وكان يأتيه، وقال أنه على باب من أبواب الجنة فترابه يستشفى به.

ويسمى أحد أهداً لتوحدته وانقطاعه عن جبال أخرى هنالك. قال السيد: وترتبة صهيب أولى بذلك وللطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لأحد هذا جبل يحبنا ونحبه، على باب من أبواب الجنة، وهذا غير جبل يبغضنا ونبغضه على باب من أبواب النار وغير جبل كبير على يسار ذى الحليفة وأنت خارج من المدينة، وهو يقابل أهداً إلى ناحية مكة من المدينة وأحد إلى ناحية الشام (١١٣).

- ذكر الآبار التي في المدينة:

١- بئر أريس:

وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وتقع هذه البئر في حديقة غربى مسجد قباء قريباً منها وماؤها غزير (١١٤).

٢- بئر البصة:

بضم الباء وتخفيف الصاد المهملة كما الدائر على السنة أهل البلد. روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الشهداء وأبناءهم ويتعاهد عيالهم قال فجاءنى يوماً وقال هل عندك من سدر أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة قلت نعم فأخرجت له سدرأً وخرجت معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراقبة شعره فى البصة، وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق قباء فى حديقة نخل على طرف بطحان وماؤها أخضر وهناك بئر أخرى صغيرة (١١٥).

٣- بئر بضاعة:

بضم الموحدة على المشهور. تقع غربى بئر حا إلى جهة الشمال قال المجد فى الخبر صلى الله عليه وسلم أتى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردّها إلى البئر وبصق فيها، وكان إذا مرض المريض فى أيامه يقول أغسلونى فى بئر بضاعة فيغسل فكانما نشط من عقال. وقالت أسماء بنت أبى بكر لنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيّام فيعافون. وهى حديقة كبيرة ذات نخل أقرب أبواب المدينة إليها باب الشامى عن يمين الخارج منه قليلا وحولها مسجد وبركة ماء (١١٦).

٤- بئر حا:

بفتح الموحدة وكسرهما وفتح الراء وضمها وبالمد فيهما وبفتحهما والقصر فيعلى، من البراح وهى الأرض المنكشفة، وقيل بئر أضيف إلى حاء من حروف الهجاء وهم اسم رجل أو امرأة أو مكان وخبرها فى الصحيح وأنها كانت مستقبله المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب وهى اليوم حديقة صغيرة (فى زمن الوريثاني) قريبة من سور المدينة شمالية بينهما الطريق وأقرب أبواب المدينة إليها باب البقيع وهى بينه وبين الباب الشامى (١١٧).

٥- بئر رومة:

بضم الراء وبالهزمة دونه وفى الحديث نعم القلبيب قلب المزنى فاشتراها عثمان فتصدق بها وورد أيضاً نعم الحفيرة حفيرة المزنى يعنى رومة، وعنه صلى الله عليه وسلم من يشتري رومة فله مثلها فى الجنة فكان الناس لا يشربون منها إلا بئمن، فاشتراها عثمان فجعلها لله وكانت لرجل من غفار أو مزينة أو ليهودى اسمه رومة فنسبت إليه وهى بئر جاهلية روى أنه استقى منها لتبّع لما نزل بقناة وهى بأسفل العقيق قرب مجتمع الأسيال وهى بعيدة من المدينة وإلى الجوف أقرب والطريق إليها على مساجد الفتح ثم يعدل يساراً إلى ناحية مسجد القلبيتين ثم يمر تحته أسفل منه قاصداً العقيق، فهى هناك وبقربها مزارع (١١٨).

٦- بئر اليسيرة:

من اليسر ضد العسر وتعرف فى زمن الوريثاني ببئر العهن بكسر فسكون، وهو لغة الصوف الملون وهى معروفة بالعوالى مليحة جداً منقورة فى الجبل وعندها

سدره، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء ببني أمية بن زيد فوقف على بئر لهم ما اسمها فقالوا عسيرة فقال لا اسمها اليسيرة وبصق فيها وبرك فيها (١١٩).

٧- بئر غرس:

بضم فسكون وقال المجد بفتح فسكون وضبطه بعضهم بالتحريك كشجر، وهى بئر شرقى قباء على نصف ميل من مسجدھا إلى جهة الشمال، وقد ورد أن رباحاً غلاماً للنبي صلى الله عليه وسلم كان يستقى من بئر غرس مرة ومن بئر السقيا مرة (١٢٠).

٨- بئر السقيا، وبئر زمزم:

ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان يستعذب له الماء من بئر السقيا والسقيا تقع فى آخر منزلة النقا على يسار السالك إلى الحج أيام بئر على وهى بالحره الغربيه وحولها بركة عظيمة لورود الحاج أيام نزولهم هنالك والثانية بئر زمزم وهى قريه من السقيا على يمين الطريق حتى زعم بعضهم أنها بئر السقيا وهى بئر مليحة فى حديقة نخل حولها بركة وبناء وسميت زمزم تشبيها لها بزمزم فى التبرك بها (١٢١).

- جدة:

بها من المشاهد كالمحل الذى يقال أن فيه قبر أمنا حواء وممن جزم أن قبرها بها ابن خلكان فى ترجمة ابن قلائس الشاعر وهى مدينة كبيرة ممتدة على ساحل البحر نحو ميلين فى كلا طرفيها حصار متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكره لا يفارقه. ومن اقتباس للشيخ أبى سالم العياشى يقول الورثيلى: مسجدھا الكبير من أجل المساجد منه أعمدة من الساج مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط صليب عودھا يحسبھا من لم يتأملھا رخاماً أحمر. كما يقال أن أعمدة ذلك المسجد جلبت فى صدر الإسلام من كنيسة بأرض الحبشة عندما فتحها المسلمون (١٢٢).

- الطائف:

بلدة الطائف فإن فيها مزارات كثيرة ويمر إليها على طريق الحاج إلى منى ثم إلى مزدلفة ثم إلى بسيط عرفة وإلى الطريق من مكة إلى الطائف فيها قهاوى يستريح فيها المارة بالنزول فيها، ويسلك مع طريق الساقية التى من أصل الجبل إلى عرفات ثم إلى المشاعر ثم إلى مكة ومنها تأتى المياه إلى مكة (١٢٣).

ومن الأماكن التي تزار ببلاد الطائف البلد نفسه فقد وردت آثار تدل على فضله وأنه منقول من الأرض المقدسة نقله جبريل عليه السلام بإذن الله تعالى، وورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم عضاة وجّ وهو الطائف، وهو عند الشاقعية كحرم مكة لا يقطع شجره وكفاه هذا، هذه فضيلة شارك بها الحرمين الشريفين.

وفيها قبر ترجمان القرآن حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو في قبلة المسجد الأعظم من يمينه وعليه بناء فخم وحوله على يسار الداخل من الباب قبر البطل الهمام والليث المقدم فارس بن أبي طالب رضي الله عنه وفضائله مشهورة وسبب انحيازه هو وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إلى الطائف مذكور في التواريخ. وبإزاء قبر ابن عباس يقال أنه قبر عبد الله الطيب الطاهر ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والناس يتبركون به (١٢٤). ومنها المسجد الأعظم نفسه.

- ذكر بعض أودية المدينة:

وادي العقيق: من المواضع المباركة التي ينبغي زيارتها، ففي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادي العقيق أتاني الليلة أت فقال صل في هذا الوادي المبارك، وزوى مرفوعاً العقيق واد مبارك (١٢٥).

وادي بطحان: وهو الوادي المتوسط بيوت المدينة، ودور الأنصار غالبيتها على حافته شرقاً وغرباً.

وادي قناة: وهو أعظم أودية المدينة سيلاً، فإن سيله يأتي من الأماكن البعيدة، يروى أن تبع نزل فلما شخص منه قال هذه قناة الأرض فسمى به، ويسمى أيضاً بالشظاة. وفي القاموس أن عند المدينة سمي قناة ومن أعلى منها عند سد نار الحرة يسمى بالشظاة (١٢٦).

وادي رانونا لعاشوراء.

وادي مزينب مصغر مذهب.

وادي مهزور بفتح فسكون آخره راء. وهذه الأودية ترجع إلى بطحان (١٢٧).

سكن القبائل العربية: العرب فى بلاد الحجاز من عسفان إلى ينبع بلاد حرب.
ومن ينبع إلى الأكرة بلاد جهينة.

ومن الأكرة إلى ظبة بالظاء المشالة والباء الموحدة والهاء. واد دون المويلح
بلاد بلى.

ومن بلى إلى مصر بلاد الحويطات ^(١٢٨) ذكر العملة فى الحجاز فى زمن
الحجاز فى زمن الرحلة:

ذكر قيمة الجمل الذى اشتراه فى المدينة المنورة بخمسة عشر ريالاً أبا طاقة ^(١٢٩).

الهوامش:

- ١- القابسي نجاح صلاح الدين، رحلة ابن رشيد السبتي الفهري، رسالة دكتوراه غير منشورة، قدمت إلى كلية الآداب جامعة عين شمس بمصر سنة ١٩٧٥م ص ٢٠٨.
- ٢- العياشي، أبي سالم، الرحلة العياشية (مائدة الموائد) مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط، طبعة ١٩٧٧م.
- ٣- أمحزون، محمد، المدينة المنورة في رحلة العياشي، دار الأرقم للنشر والتوزيع الكويت سنة ١٩٨٨م ص ٧٦، ٧٧.
- ٤- القادري، محمد بن الطبيب، النقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨١م ص ١٩٨.
- ٥- المرجع نفسه ص ١٩٩.
- ٦- ولد الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني (نسبة إلى بني ورثيلان بالجزائر) في الجزائر سنة ١١٢٥هـ وتوفي بها أيضاً سنة ١١٩٣هـ، وهو من أسرة مرابطين (أهل الطرق) تدعى الشرف وقد تنقف في وطنه ثقافة عصره، واختلف إلى الزوايا الموجودة بمنطقته، وكان يكثر من- الزيارات وأخذ طريق القوم إلى أن أصبح هو مرابطاً (شيخ طريقه الشاذلية) وأصبح الناس ينظرون إليه نظرة احترام وإجلال حسب مفاهيم ذلك الوقت.
- ٧- الورثيلاني الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب طبع الجزائر ١٩٠٨م ص ٣٤٠.
- ٨- المرجع نفسه ص ١٩٩.
- ٩- أمحزون، المرجع السابق ص ٧٧.
- ١٠- أبو القاسم سعد الله- مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرحلة الجزائرية خلال العهد العثماني، الرياض ح ٢ ص ٣٣٨.
- ١١- المرجع نفسه ص ٣٣٩.
- ١٢- الجراري، عباس، مدخل لرحلة الحضيكي الحجازية. مصادر تاريخ الجزيرة العربية ح ٢ مطابع جامعة الرياض سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ح ٢ ص ٢٧٣ وما بعدها.

- ١٣- السراج، أبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى (ابن مليح) "أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم الأعراب" تحقيق محمد الفاس، فاس ١٩٦٨م ص ١٠١.
- ١٤- المنونى، محمد، الجزيرة العربية فى الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مطابع جامعة الرياض ح ٢ ص ٣٠١.
- ١٥- الرشيدى، أحمد: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج بتحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٨٠م ص ٤٨.
- ١٦- بتس جوزيف (الحاج يوسف) رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة د/ عبد الحمن عبد الله الشيخ، الهيئة العامة للكتاب مصر، ١٩٩٥م ص ٢٣
- ١٧- بتس جوزيف، المرجع نفسه ص ٢٣.
- ١٨- الرشيدى، أحمد، المرجع السابق ص ٤٨.
- ١٩- المنونى، محمد- المرجع السابق- ص ٢٩٩.
- ٢٠- المنونى، محمد- المرجع السابق ص ٣٠٠.
- ٢١- المنونى، محمد- المرجع السابق ص ٣١٣.
- ٢٢- المنونى، محمد- المرجع السابق ص ٣٠٠.
- ٢٣- المنونى، محمد- المرجع السابق ص ٣١٥.
- ٢٤- عبد العزيز بن عبد الله، الرحلات الحجازية كشف لأمجاد الجزيرة العربية/ مصادر تاريخ الجزيرة، مطابع جامعة الرياض ح ٢ ص ٣١٥.
- ٢٥- عبد العزيز بن عبد الله- المرجع السابق- ص ٣٥٦.
- ٢٦- ابو القاسم سعد الله- أبحاث وآراء فى تاريخ الجزائر- القسم الأول- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر ط ٢ ١٩٨١م ص ١٧٨.
- ٢٧- القاسمى، هاشم العلوى، المرجع السابق ص ٢٠٤.
- ٢٨- الورثيلانى، المرجع السابق ص ٤٢٠-٤٢٢.

- ٢٩- أبو القاسم سعد الله- المرجع السابق ص ١٨٩.
- ٣٠- الورثياني- المرجع السابق ص ٥.
- ٣١- الورثياني- المرجع السابق ص ٧.
- ٣٢- الورثياني- المرجع السابق ص ٢١.
- ٣٣- الورثياني- المرجع السابق ص ٢٤.
- ٣٤- الورثياني- المرجع السابق ص ٢٧.
- ٣٥- الورثياني- المرجع السابق ص ٣.
- ٣٦- الورثياني- المرجع السابق ص ٨٨.
- ٣٧- الورثياني- المرجع السابق ص ٤٩.
- ٣٨- محمد الجاسر، أشهر رحلات الحج، ملخص رحلتى أبى عبد السلام الدرعى المغربى، دار الرفاعى للنشر، الرياض أغسطس ١٩٨٢م ص ٣٥-٣٦-٤١.
- ٣٩- أمحزون محمد، المرجع السابق ص ٤٧-٤٩.
- ٤٠- الورثياني- المرجع السابق ص ٨٨-١١٢.
- ٤١- الورثياني- المرجع السابق ص ١١٩-١٢٣.
- ٤٢- الورثياني- المرجع السابق ص ١٢٢.
- ٤٣- الورثياني- المرجع السابق ص ١٤٥-١٦٩.
- ٤٤- المنونى، محمد، ركب الحاج المغربى- معهد مولاي الحسن تطوان- مطبعة المخزن سنة ١٩٥٣م ص ٧-٨.
- ٤٥- الورثياني، المرجع السابق ص ٣٢٧.
- ٤٦- الورثياني- المرجع السابق ص ١٥٠-١٥١.
- ٤٧- الورثياني- المرجع السابق ص ١٦٠.

- ٤٨- الورثيلاني - المرجع السابق ص ١٨٨-١٨٩.
- ٤٩- الورثيلاني - المرجع السابق ص ١٦٩.
- ٥٠- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢١٦.
- ٥١- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٢٩.
- ٥٢- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٢١.
- ٥٣- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٤٢.
- ٥٤- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٥٤.
- ٥٥- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٦٣.
- ٥٦- ابن خلدون، عبد الرحمن - مقدمة ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من نوى السلطان الأكبر) دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠ م.
- ٥٧- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٨١.
- ٥٨- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٨٢.
- ٥٩- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٨٣.
- ٦٠- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٨٥ و ٣١٧.
- ٦١- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٨٩.
- ٦٢- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٩٠.
- ٦٣- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٢٩٤/٢٩٦/٢٩٧.
- ٦٤- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٣١٨.
- ٦٥- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٣١٩.
- ٦٦- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٣٢٢.
- ٦٧- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٣٢٤-٣٢٥.
- ٦٨- الورثيلاني - المرجع السابق ص ٣٢٥-٣٢٦.

- ٦٩- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٢٦.
- ٧٠- المنوني محمد، ركب الحاج المغربي. تطوان مطبعة المخزن ١٩٥٣م ص ٤٦.
- ٧١- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٢٧.
- ٧٢- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٣٢.
- ٧٣- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٣٣.
- ٧٤- الورثياني - المرجع السابق ص ٤٤٨.
- ٧٥- الورثياني - المرجع السابق ص ٤٤٧/٣٣٤.
- ٧٦- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٣٥.
- ٧٧- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٣٨.
- ٧٨- الورثياني - المرجع السابق ص ٢٤٢.
- ٧٩- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٤٦-٣٥١.
- ٨٠- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٦١.
- ٨١- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٦٦.
- ٨٢- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٧٥.
- ٨٣- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٧٧.
- ٨٤- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٨١.
- ٨٥- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٨٣.
- ٨٦- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٨٥-٤٠٤.
- ٨٧- الورثياني - المرجع السابق ص ٣٨٤.
- ٨٨- القيسي المرجع السابق ص ٦٩.
- ٨٩- القيسي، المرجع السابق ص ٧٦.

- ٩٠- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٠٤.
- ٩١- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٠٥.
- ٩٢- الورثيلاني ، المرجع السابق ص ٤٠٦-٤٣٥.
- ٩٣- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٠٧.
- ٩٤- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٠٩.
- ٩٥- الورثيلاني، المرجع السابق صص ٤٣٥.
- ٩٦- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٣٦ وهنا يظهر الورثيلاني اهتماماته بزيارة الأضرحة والقبور مثلما فعل في زيارته لقبور الأولياء والصالحين في كل مكان مر عليه في طريقه من الجزائر إلى مكة المكرمة، وآخرها مشهد العيدروس بمكة.
- ٩٧- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٣٥.
- ٩٨- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٤٥-٤٤٦.
- ٩٩- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٤٩.
- ١٠٠- الورثيلاني ، المرجع السابق ص ٤٥١.
- ١٠١- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٣٤٩.
- ١٠٢- الورثيلاني، المرجع السابق نفس الصفحة.
- ١٠٣- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٣٥٢.
- ١٠٤- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٦٦.
- ١٠٥- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٦٩-٤٧٠.
- ١٠٦- الورثيلاني، المرجع السابق ص ٤٧٥.

انظر كذلك محمد بن أحمد المطرى المتوفى ٧٤١هـ كتابه: التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق عبد الله اللبيب، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، غير منشورة ص (٢٣٦-٢٦١).

حيث استفاد الورثياني من كتاب السهمودي الذي كان يشير إليه بالسيد السهمودي في اقتباساته الموجودة في المذكورة، انظر ص ٣٥٣ وما بعدها.

- ١٠٧- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٧٦.
- ١٠٨- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٥٩.
- ١٠٩- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٦٠.
- ١١٠- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٦٦.
- ١١١- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٦٣.
- ١١٢- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٧٧.
- ١١٣- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٨٤.
- ١١٤- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٩٠-٤٩١.
- ١١٥- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٩٤.
- ١١٦- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٩٤-٤٩٥.
- ١١٧- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٩٥.
- ١١٨- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٩٥.
- ١١٩- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٩٦.
- ١٢٠- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٩٦.
- ١٢١- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٩٧.
- ١٢٢- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٣٨/٤٣٩.
- ١٢٣- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٤٠.
- ١٢٤- الورثياني، المرجع السابق ص ٤٤٢.
- ١٢٥- الورثياني، المرجع السابق ص ٥٢٣.

١٢٦- الورثيلاني، المرجع السابق ص٥٢٦.

١٢٧- الورثيلاني، المرجع السابق ص٥٢٧.

١٢٨- الورثيلاني، المرجع السابق ص٥٤٥.

١٢٩- الورثيلاني، المرجع السابق ص٥٤٨.

كان الريال أبا طاقة من النقود التي كانت تستعمل في العهد العثماني في الحجاز وبلغ سعره في سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ٢٨ إلى ٢٨,٥ قرشا.

انظر ضيف الله الزهراني، عادل محمد نور عياش، تاريخ مكة المكرمة التجاري منشورات الغرفة التجارية الصناعية بمكة. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٨٨م ص١٠٤.

قائمة المصادر والمراجع

- * ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- * ابن ظهيرة: جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبى بكر بن على (الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف). القاهرة ١٩٢٧م.
- * ابن عبد الله: عبد العزيز، الرحلات الحجازية كشف لأمجاد الجزيرة العربية . مطابع جامعة الرياض، جزءان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- * ابن فرج: عبد القادر (ت ١٠١٠هـ) السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة، الطبعة الأولى تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت، دار إحياء التراث العربى، ١٩٨٣م.
- * ابن فهد: المالكي، إتحاف الورى فى أخبار أم القرى، تحقيق د/ فهد شلتوت، طبعة جامعة أم القرى مركز تحقيق التراث مكة المكرمة.
- * الأرزقى: ابن الوليد محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، الطبعة الرابعة تحقيق رشدى ملحس مكة، مطابع دار الثقافة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- * أمحزون: محمد، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، دار الأرقم للنشر والتوزيع الكويت، سنة ١٩٨٨م.
- * بتس: جوزيف (الحاج يوسف) رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة د/ عبد الرحمن عبد الله آل شيخ الهيئة العامة للكتاب، مصر ١٩٩٥م.
- * البكرى: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الله يوسف، الطبعة الأولى الكويت منشورات ذات السلاسل ١٩٧٧م.
- * الجاسر: حمد، أشهر رحلات الحج، ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى، الطبعة الثانية، الرياض منشورات دار الرفاعى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- * الجرارى: عباس، مدخل لرحلة الحضيكي الحجازية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جزءان مطابع جامعة الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- * الرشيدى: أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى أمر الحجاج، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي مصر سنة ١٩٨٠م.
- * الزهرانى: ضيف الله، عادل محمد نور غباشى، تاريخ مكة المكرمة التجارى. منشورات الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
- * السباعى: أحمد تاريخ مكة، الطبعة الرابعة مكة المكرمة نادى مكة الثقافى ١٩٧٩م.
- * السخاوى: الحافظ شمس الدين محمد (ت ٩٠٢)
- التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة المنورة الشريفة تحقيق محمد حامد الفقى دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
- * السراج: أبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى (ابن مليح) أنس السارى والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفارسى، فاس ١٩٦٨م.
- * سعد الله: أبو القاسم، أبحاث وآراء فى تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر الطبعة الثانية ١٩٨١م.
- الرحلة الجزائرية الحجازية خلال العهد العثمانى، مصادر تاريخ الجزيرة العربية - جامعة الرياض، جزءان سنة ١٣٩٩هـ/١٩٣٩.
- * العباسى: أحمد بن عبد الحميد المتوفى فى القرن العاشر، عمدة الأخيار فى مدينة المختار، تصحيح محمد الطيب الأنصارى، القاهرة نشر أسعد طرابزونى الحسنى د.ت.
- * العبدري: محمد، الرحلة (حج سنة ٦٨٩هـ) تحقيق أحمد بن جدو طبعة الجزائر د.ت.
- * العياشى، أبى سالم (ت ١٠٩٠هـ) الرحلة العياشية، مائدة الموائد مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- * الفاسى: تقى الدين محمد بن أحمد الحسنى المكى (ت ٨٣٢هـ)، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد وآخرون، ثمانية أجزاء، القاهرة ١٣٧٨-١٣٨٨هـ. - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، القاهرة مكتبة النهضة ١٩٥٦م.
- * القابسى، نجاح صلاح الدين، رحلة ابن رشيد السبتي الفهرسى، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت إلى كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٧٥م.

* القادري: محمد بن الطيب، النقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، دار الأفاق الجديدة بيروت ١٩٨١م.

* المقرئزي: تقي الدين (٨٤٥هـ)

- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والمملوك، تحقيق جمال الشبال، القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٥٥م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عاشور القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٧٢م.

- السلوك، الجزء الأول تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٥٦م.

* المنوني: محمد، ركب الحج المغربي، معهد مولاي الحسن، تطوان مطبعة المخزن سنة ١٩٥٣م.

- الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مطابع جامعة الرياض، جزءان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

* النهروالي: المكي قطب الدين محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، علق عليه محمد طاهر كردى، مكة المكرمة المكتبة العلمية ١٣٧٠هـ.